الفصل الثاني

الأوضاع الاجتماعية والثقافية ١٩١٨م - ١٩٤٥م

أولاً: الأوضاع الاجتماعية

١- التركيب الاجتماعي:

تضع اليمن في طريق من يهتم بدراسة بنياتها الاجتماعية عدة مشاكل، فقد ورّثت في الواقع أنماطًا اجتماعية من حضاراتها القديمة، وبعد ظهور الإسلام واعتناق اليمنيين له لم يحدث هناك تغير كبير في الفروق الاجتماعية رغم مبادئ الإسلام التعادلية[١]. ويعد انقسام المجتمع أيًا كان إلى مجموعات، وطوائف، وشرائح اجتماعية مرتبة في تدرج معين ظاهرة اجتماعية شغلت الكثير من المفكرين عبر العصور، ودراسة هذه الظاهرة تعد من أكثر الدراسات إثارة للجدل والخلاف[٢].

شكل دراسة البنية الاجتماعية التقليدية في حضرموت، وإظهار تأثيراتها المختلفة أحد أهم المفاتيح لدراسة الظاهرات التاريخية الاجتماعية منها والسياسية. فحضرموت مثلها مثل بقية مناطق اليمن، انقسم الناس فيها إلى شرائح مختلفة، كل شريحة تتحرك أفقيًا في سلّم اجتماعي معين، وإن اتفقوا في بعض مظاهر الحياة العامة وسبل كسب العيش[٣]. إن هذا الانقسام والتمايز دون شك قام على أساس عامل الدور والوظيفة الاجتماعية لهذه الشرائح، وعلى هذه الفرضية يمكن تحديد التقسيم الاجتماعي المراتبي في حضرموت على النحو الآتي:

السادة:

المعروف أن نسب السادة يتصل بالرسول ﷺ من زواج ابنته فاطمة بعلي بن

---

(١) محمد سعيد العطار. التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن. دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٦٥م. ص ١١٤.

(٢) قائد نعمان الشرجبي. الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني. دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٦م. ص ٨.

(٣) محمد عبدالقادر بامطرف. المعلم عبدالحق. ط (٢)، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م، ص ١٩٥.

أبي طالب[١]، ولقب السيد أو الشريف كان يطلق في بداية العصر الإسلامي على كل من كان من أهل البيت سواء كان حسنيًا أو حسينيًا أو علويًا من ذرية علي بن أبي طالب أو جعفريًا أو عباسيًا ولمّا ولي الخلفاء الفاطميون (العبيديون) مصر قصروا لقب الشريف أو السيد على ذرية الحسن والحسين وانتقل ذلك إلى حضرموت[٢]، وهو مستمر حتى الآن. وتعني كلمة السيد كما جاء في لسان العرب هو الرئيس الذي فاق غيره بالعقل والمال المعطى، والذي لا يغلبه غضبه[٣]، والشرف هو الحسب بالآباء، والجمع أشراف ويدل أصل الكلمة على الارتفاع والعلو[٤]. ورغم أن الإسلام ساوى ما بين المسلمين استنادًا إلى الآية الكريمة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [٥]، إلا أنه صار الانتساب إلى بيت النبي ﷺ علامة الشرف وذلك بسبب تأثير آراء الشيعة.[٦]

وترجع عبارة أهل البيت إلى الآية القرآنية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [٧]، والشيعة يصرفون معنى هذه الآية إلى علي وفاطمة وأبنائهما.

كما يطلق على سادة حضرموت لقب الحبيب، خاصةً على العالم والمسن والزعيم[٨]، ويرجع وجود وانتشار السادة بحضرموت إلى أحمد بن عيسى

---

(١) خالد عبدالجليل شاهر. البنية التقليدية في اليمن في عهد الإمام يحيى (١٩١٨-١٩٤٨م)، مجلة سبأ، العدد السادس، أكتوبر، ١٩٩٢م. ص ١١٦.

(٢) محمد بن أبي بكر الشلي. المشرع الروي في مناقب السادة آل باعلوي. الجزء الأول، المطبعة الشرفية. ص١٩.

(٣) ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب، المجلد التاسع، كلمة (ساد). ص ١٦٩.

(٤) ابن منظور. المجلد الرابع، كلمة (شرف). ص ١٢٤١.

(٥) سورة الحجرات. الآية ١٣.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية. المجلد الثالث عشر. ص ٢٦٦.

(٧) سورة الأحزاب. الآية ٣٣.

(٨) علي بن أحمد السقاف. لمحات خاطفه عن جمعية خير، الرابطة العلوية، دار الأيتام. ١٩٩٣م، ص ١٦.

بالمهاجر الذي يرتفع نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ. فقد قدم إلى حضرموت من البصرة سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م، يرافقه ابنه عبيد الله وحفيده بصري وجماعة من عائلته وأتباعه، أقام أولاً في قرية الجبيل بوادي دوعن، فلم تطل إقامته بها فغادرها إلى مدينة الهجرين، ومنها إلى قارة بن جبير[١]، ثم اتجه إلى الحسيسة واستقر بها حتى وفاته سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م[٢].

لقد كان لقدوم أحمد بن عيسى المهاجر وأحفاده من بعده أثره الواضح في تاريخ حضرموت السياسي، والاجتماعي، والمذهبي. وفي الأيام الأولى لاستقرارهم كان الحضرمي يعد السادة العلويين مجموعة من المشايخ الذين عرفوهم. ولم يكن لهم في بداية الأمر أي تأثير سريع، ومضى وقت قبل أن يفصحوا عن مراميهم بعيدة المنال، ومطالبتهم بوضع متميز[٣].

بعد قرنين ونصف القرن من وفاة أحمد بن عيسى المهاجر شكك بعض الناس في رفع العلويين نسبهم إلى البيت النبوي وطالبوهم بإثبات نسبهم[٤]، فسافر حفيد المهاجر علي بن محمد بن جديد إلى البصرة وأثبت نسبهم عند قاضيها، وأشهد على ذلك نحو مائة عدل ممن يريد الحج، ثم أثبت ذلك في مكة المكرمة وشهد على ذلك جميع من حج من أهل حضرموت[٥]. وحول هذه الإشكالية قال المستشرق سارجنت: «ومهما كان الافتقار إلى المصادر القديمة فليس هناك ما يثير الشك عن انحدار السادة الحضرميين لأنه من الصعوبة بمكان في الجزيرة العربية إثبات شجرة أنساب مزيفة خصوصًا عندما تبرز الاعتبارات المالية»[٦].

---

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. المختصر في تاريخ حضرموت العام. ص ١٣-١٤.
(٢) سعيد عوض باوزير. صفحات من التاريخ الحضرمي. ص ٦٢.
(٣) روبرت سارجنت. حول مصادر التاريخ الحضرمي. ترجمة د. سعيد عبدالخير النوبان، مطبعة جامعة الكويت. ص ١١٠.
(٤) محمد عبدالقادر بامطرف. المختصر في تاريخ حضرموت العام. ص ٤٢.
(٥) محمد بن أبي بكر الشلي. المرجع السابق. ص ٢٩.
(٦) سارجنت. المرجع السابق. ص ١٠٩.

ومهما يكن الأمر فإنه بعد هذا الطعن في نسبهم تركز نشاط السادة على حفظ الأنساب لذلك نجد انتشار كتب شجرة الأنساب[١] لمعظم عائلات السادة. وفضلوا كتابة أعمال الورع والتراجم لأجدادهم، على تسجيل تاريخ البلاد[٢].

ومن أجل الاحتفاظ بنقاء انتسابهم إلى الرسول محمد ﷺ وبالتالي الاحتفاظ بالمكانة الاجتماعية العالية التي يتمتعون بها، فإن هناك قواعد يجب على أفراد السادة مراعاتها، وتنفيذها، وهذه القواعد تقوم أساسًا على الزواج الداخلي فالسيد لا يتزوج إلا بسيدة والعكس صحيح[٣]، إن قاعدة الزواج الداخلي تقوم على مسألة الكفاءة في الزواج بمعنى أن السيد لا يزوج ابنته إلا لسيد، ويجوز أن يُرفع ذلك عن الرجل[٤].

تربع السادة في حضرموت قمة الهرم المراتبي التقليدي لكونهم ينظر لهم كأحفاد للرسول محمد ﷺ[٥]، وقد ساعد هذا النسب في أن يحصلوا على مكانة اجتماعية بصرف النظر عن الغني، أو الفقير، أو المنصب الذي يشغله[٦].

---

(١) من هذه الكتب: ١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب. للسيد أحمد بن عنيه ٢) جواهر العقدين في أنساب أبناء السبطين. للسيد علي السمهوري ٣) غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار. للسيد أبو طالب تقي الدين ٤) تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن. عبدالرحمن الأهدل ٥) النفحة العنبرية في أنساب خير البرية. لأبي فضل محمد الحسيني ٦) تحفة الأزهار في أنساب آل النبي المختار. للسيد ضامن بن شدقم ٧) عقود الألماس في مناقب الحبيب أحمد بن حسن العطاس. لعلوي بن طاهر الحداد ٨) المشرع الروي في مناقب السادة آل باعلوي، محمد أبي بكر الشلي.

(٢) سارجنت. المرجع السابق. ص ١٠.

(٣) قائد نعمان الشرجبي. المرجع السابق. ص ١٣٩.

(٤) سارجنت. المرجع السابق. ص ١١٥.

(٥) ميخائيل رديونف. الشاعر في منظومة العلاقات السلطوية مادة ميدانية من اليمن (حضرموت). ترجمة: د. عبدالعزيز جعفر بن عقيل. مجلة الثقافة، العدد (٣١)، السنة الخامسة، إبريل مايو ١٩٩٧م. ص ٢٧٣.

(٦) قائد نعمان الشرجبي. المرجع السابق. ص ٤٤.

ويُمنح السيد في الحياة اليومية مكانة الشرف فهو يؤم الناس في الصلاة، ويحيونه بتقبيل يده، وحتى السلاطين لا يمكنهم تجنب ذلك على الأقل في الظاهر ويعبر السيد عن تقديره بسحب يده والتظاهر بأنه يريد تقبيل يد السلطان، وبالنسبة للأعيان من غير السادة يكفي التظاهر بتقبيل اليد(١)، ونستنتج من قول السلطان صالح في أثناء رحلته إلى دوعن هذا التقدير للسادة فقد كتب واصفًا الرحلة: "... رحلنا إلى بلدة القويرة حتى وصلنا إليها فاستقبلنا وفد من السادة آل المحضار الأخيار يتقدمهم السيد الجليل مصطفى المحضار، وحينما رأيتهم نزلت من محفتي إكرامًا وإجلالاً لهم "(٢).

وكان تعامل القبائل مع السادة في عموم اليمن ينطلق من مفهوم عرفي وهو حماية الجار على اعتبار أنهم غرباء عن التكوينات القبلية القائمة(٣)، وهذا ساعدهم على القيام بدور الوسيط في حل النزاعات القبلية. ويمكن أن نركز أسباب المكانة الاجتماعية للسادة في الآتي:

١- نشر مبادئ الإسلام في مناطق سكنهم وفي البوادي والأرياف.

٢- إصلاح ذات البين في النزاعات القبلية كتوسطهم في عقد الهدنة والصلح.

٣- كانت ديار مناصبهم مفتوحة دائمًا للضيوف والنزلاء والزوار.

وهكذا فإن مكانة السادة تقوم على أساس وظائفهم الدينية التنويرية، أما النسب فيدعم هذه المكانة والحفاظ عليها وتوارثها(٤).

---

(١) D.. Vander meulen and H. Von wiss man. OP. Cit. P 98.

(٢) السلطان صالح بن غالب القعيطي. الرحلة السلطانية إلى الجهة الغربية من المملكة القعيطية، المطبعة المصرية، جاوا، ١٣٧٠هـ. ص ١٥.

(٣) فضل أبو غانم. البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير. مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٨٥م. ص ٢١٢.

(٤) عبدالعزيز جعفر بن عقيل، اللوحة العامة للتركيب الاثنوقبلي في حضرموت. مجلة الثقافة، العدد الحادي والعشرون، يناير - فبراير، ١٩٩٦م. ص ١٤.

ولم يكن السادة أو العلويون ذوي نفوذ روحي فحسب بل كانوا أيضًا من الناحية الذاتية أكبر قبيلة في حضرموت من حيث العدد والثقافة والمال ومتانة العلاقات فيما بينهم والتأثير في مجتمعهم(١). وتتوزع فروعهم على مختلف مناطق حضرموت، والمناطق المجاورة، وغالبًا ما نجد الفرع أو البطن الواحد يقطن مناطق متباعدة(٢)، ولقوة نفوذهم الديني في حضرموت اعتقد بعض الساسة البريطانيين أنهم بالفعل يحكمون حضرموت(٣).

وكثير من السادة يحملون لقبًا وراثيًا هو(منصب)، ويعترف لهم بالزعامة الروحية بين القبائل المجاورة والبعيدة أحيانًا، فمنصب عينات التي تبعد عن تريم بحوالى ١٢ ميلاً له تأثير على قبائل يافع(٤). يعد المنصب مرجعًا في الأمور المهمة والمشاكل الاجتماعية، وله امتيازات عديدة فتقدم له بعض النذور، ويعفى من الضرائب وغيرها من العوائد، وله عُشر محصول الأرض، وبالمقابل عليه أن يكرم ضيوفه، ويتوسط لحسم الخلافات والحروب(٥).

ومن أبرز العائلات التي ينحدر منها المناصب: آل الشيخ أبي بكر بن سالم ووجاهتهم على القبائل اليافعية، والمناهيل، والمهرة. وآل العطاس ووجاهتهم أكثر لدى قبائل الجعدة، ونهد. وآل العيدروس ووجاهتهم لدى القبائل الشنفرية، والتميمية(٦). ولا يحمل السادة السلاح، ويعتمدون على نسبهم لإشاعة النظام وعلى الاحترام الذي يظهره العامة لهم(٧)، وقد أسس بعض

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. المعلم عبدالحق. ص ١٢٩.
(٢) عبدالعزيز جعفر بن عقيل. المرجع السابق. ص ١٤.
(٣) هارولد جاكوب. ملوك شبه الجزيرة العربية. ترجمة: أحمد المضواحي، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م. ص ٤٠٩.
(٤) W. H. Ingrams. Areport on the Social, Economic and political condition of the in Hadhramout. London, 1936. P 36-37.
(٥) سارجنت. المرجع السابق. ص ١١٢.
(٦) محمد أحمد الشاطري. المرجع السابق. الجزء الأول. ص٢٨٧.
(٧) W. H. Ingrams. OP. Cit. P. 40.

البارزين منهم عددًا من الحوط (جمع حوطة) وهي الأرض التي يحوطها الرجل الصالح فمن لاذ بها فقد أمن من أعدائه[١]. وقد لعبت الحوطة دورًا مهمًا في تاريخ اليمن ففي مجتمع تسود فيه الحروب القبلية، أصبحت هناك ضرورة لمنطقة محايدة لأسباب دينية، وسياسية، واقتصادية، وغالبًا ما تكون الحوطة على ملتقى الطرق التي تجتمع عندها القبائل[٢].

ومن أشهر الحوط حوطة عينات بين تريم وقبر النبي هود، وحوطة المشهد أسفل وادي دوعن، وحوطة أحمد بن زين بين شبام وسيئون. وكان لأغلبية بيوت السادة المشهورين حوطًا مثل آل السقاف، والحداد، والحبشي، والمحضار، والجفري، وبلفقيه[٣].

وللعلويين طريقتهم الصوفية الخاصة، وهي التفرغ للعبادة والزهد في الدنيا، والتواضع، وحسن الأخلاق، وإصلاح النيات، وتطهير القلوب، والطويات[٤]، وتمرين النفس على العمل بالعلم، والتحقق بحقائق الإيمان[٥]، ويعتقد الصوفي العلوي في الغموض ويكره الوضوح[٦].

ومنذ مطلع أربعينيات هذا القرن بدأ تأثير العلويين يضعف تدريجيًا وذلك نتيجة لعدم الحاجة لوظيفتهم الاجتماعية، فدور الوسيط في المنازعات قد ضعف على إثر انتشار المحاكم الرسمية[٧]، كما أن النزاعات القبلية فقدت حدتها بعد هدنة انجرامس سنة **١٩٣٦م**[٨]، وأدت الحرب العالمية الثانية إلى

(١) سقاف علي الكاف. المرجع السابق. ص ١٩.
(٢) سارجنت. المرجع السابق. ص ١١٢.
(٣) المرجع نفسه. ص ١١٤.
(٤) علوي بن طاهر الحداد. عقود الألماس. الجزء الأول، ١٣٦٨هـ. ص ٤٠.
(٥) محمد بن هشام. تاريخ الدولة الكثيرية. ص ٨.
(٦) سارجنت. المرجع السابق. ص ١١٤.
(٧) محمد عمر الحبشي. اليمن الجنوبي سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا. ترجمة: إلياس فرح، وخليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م. ص ٥٣٣.
(٨) سلطان ناجي. التاريخ العسكري لليمن (١٨٣٩-١٩٦٧م). ص٩٣.

نضوب ثرواتهم في شرق آسيا الأمر الذي جعل البعض منهم يحترف مهنًا معينة كان بالأمس يتأفف منها، فحدث نوع من الحراك الاجتماعي المهني.

وكان للحراك الثقافي الذي شهدته حضرموت في تلك الفترة دورًا في عدم تسليم جزء من السكان لما يقال ويفرض من أفكار ومعتقدات من قبل السادة، كما كان للصراع العلوي الإرشادي في إندونيسيا صداه في حضرموت، وبدأ البعض يعارض الامتيازات العلوية[١].

ولعله من المفيد أن نشير أن العلويين لم يكونوا مراتبية مغلقة على نفسها وقد لاحظ (فان در ميولين) أن خدم المنزل والمواطنين العاديين يجتمعون في مجلس أغنياء السادة ويأكلون معًا، ويشربون من نفس الإناء، ويشاركون في نفس الحديث[٢].

المشايخ:

في اللغة شيخ كل من جاوز الخمسين وظهر عليه الشيب[٣]، والعرف بحضرموت يطلق هذا اللفظ على كل فرد من أفراد البيوتات التي اشتهر بعض أفرادها بالعلم فأطلق عليه لقب شيخ، ثم أطلق على كل أفراد القبيلة[٤]. يرفع المشايخ أصولهم إلى رجال الدين الدعاة الذين ينتمون إلى سكان حضرموت الأصليين أو إلى النازحين من خارجها، وكثيرًا ما يربط النازحون أنسابهم إلى أحد الصحابة، أو التابعين رضي الله عنهم، أو إلى أقارب رسول ﷺ[٥]. أما المشايخ القدماء فيفتخرون بأصولهم الممتدة إلى ملوك كندة كآل باحنان[٦]،

---

(١) تناولنا في الفصل الثالث والرابع من هذه الدراسة التطور الثقافي والصراع العلوي الإرشادي.

(٢) D. Vander meulen and H. Von wissman. op. cit. p. 140.

(٣) ابن منظور. لسان العرب. الجزء الثالث، (ماده شيخ). ص ٥٠٩.

(٤) عبدالقادر محمد الصبان. عادات وتقاليد بالأحقاف. مطبوع بالإستنسل، ١٩٧٩م، ص٤٠.

(٥) ميخائيل رديونف. المرجع السابق. ص ٤٦.

(٦) انظر: محمد بن علي باحنان. جواهر تاريخ الأحقاف.

وآل أبي فضل الذين ينتمون إلى قبيلة مذحج اليمنية المشهورة[١]، ومن المشايخ الذين يرفعون نسبهم إلى الصحابة آل الخطيب المنسوبون إلى عباد بن بشر الأنصاري رضي الله عنه[٢]، وآل العمودي المشتهرون بانتمائهم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وآل باوزير الذين ينتسبون إلى بني العباس[٣].

يأتي المشايخ في المرتبة التالية للسادة العلويين، وعرفوا بالتفقه في الدين والتصوف، ولعبوا أدوارًا مهمة في تاريخ حضرموت السياسي، والاجتماعي، وتمتعوا ببعض الامتيازات من قبل الحكام، ورؤساء القبائل، مثل الإعفاء من العوائد، ومنح قراهم الأمان[٤]، مارس المشايخ دور الوسيط في حل النزاعات القبلية، كما كانوا يقومون بخفارة القوافل والمسافرين، ويمكن للشيخ أن يهبط إلى مراتبية أقل بسبب الفقر، أو الضعف[٥]. ينتشر المشايخ في معظم مناطق حضرموت، فآل العمودي، وآل باسودان يقطنون دوعن، وآل إسحاق أسفل شبام، وآل باوزير في غيل باوزير، وآل باحميد في أطراف سيئون، وآل الخطيب في تريم، وآل باعمر في العجلانية[٦]، وهناك الكثير من أسر المشايخ.

القبائل:

تعد الحياة القبلية في اليمن ظاهرة تاريخية، وسياسية، واجتماعية، عاش اليمن في ظلها عبر مراحل تاريخه الطويل حياة سياسية واجتماعية غير مستقرة، وذلك على الرغم من ظاهر الوحدة الحضارية والثقافية والدينية التي تميز بها

---

(١) محمد أحمد الشاطري. المعجم اللطيف لأسباب الألقاب والكنى في النسب الشريف لقبائل وبطون السادة بن علوي. الطبعة الثانية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٩م. ص ٤٥.

(٢) سارجنت. المرجع السابق. ص ١١٠.

(٣) محمد أحمد الشاطري. المعجم اللطيف. ص ٤٦.

(٤) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢١.

(٥) محمد عبدالقادر بامطرف. المختصر في تاريخ حضرموت العام. ص ٣٧.

(٦) H. Ingrams. OP. cit. P. 40.

المجتمع اليمني القديم والحديث[١].

والقبيلة هي الوحدة الاجتماعية للمجتمع اليمني، وسبب وجود وأهمية ظاهرة القبيلة هو أن طبيعة اليمن بأقسامه المختلفة لا تحتمل وجود جماعات بشرية كبيرة تمتد لمسافات طويلة[٢].

وحضرموت كبقية مناطق اليمن ظلت الحياة الاجتماعية تدور حول القبيلة بوصفها الوحدة الاجتماعية التي دارت حولها العلاقات الاجتماعية، والاقتصادية كافة. وتتعدد القبائل التي يحكمها نظام عشائري عريق وثابت ومتعارف عليه، فكانت المشيخة القبلية أو التقدمية على القبيلة التي يقال لصاحبها (مقدم)؛ وتتم بالترشيح ثم التعيين في اجتماع يعقده أفراد القبيلة للاتفاق على شخص، وغالبًا ما تكون الزعامة والرئاسة متوارثة أبًا عن جد[٣]، إن زعيم القبيلة لا يتدخل في الحياة اليومية للأفخاذ ويعود ذلك إلى دوره التقليدي المزدوج فهو القائد الحربي لقبيلته وقاضيها أيضًا[٤].

ويرتكز مفهوم القبيلة على الارتباط الدموي القرائبي بين أعضائها، والانقسام إلى بطون، وجود أرض مشتركة، واسم واحد، وعادات وتقاليد مشتركة، ومنظومة واحدة للتوجيه والحكم، وبعض التنظيمات المشتركة للاقتصاد[٥].

والقبيلة لغةً هم بنو أب واحد وجمعها قبائل[٦]، وفي العرف القبائل هم حملة السلاح، فكل من يحمل السلاح، ويقاتل به يقال له قبيلي، وتطلق أيضًا على الذين

---

(١) فضل علي أبو غانم. المرجع السابق. ص ٧.
(٢) سيد مصطفى سالم. تكوين اليمن الحديث. الطبعة الثانية، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة، ١٩٧١م. ص ٢٠.
(٣) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢١.
(٤) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص ٥١٩.
(٥) عبدالعزيز جعفر بن عقيل. المرجع السابق. ص ١٠.
(٦) المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الثالثة والثلاثون. دار الشروق، بيروت. ص ٦٠٧.

انتقلوا من حياة البادية إلى حياة المثوى وهم يحملون السلاح[١]، ولا ينطبق لفظة القبيلي على الجندي الحكومي. وتمثل القبائل القطاع القوي في المجتمع الحضرمي، والقَبْيَلة (القَبْوَلة) بمعناها الأخلاقي النظري عبارة عن مجموعة من المزايا الرفيعة الشأن لا تختلف عن معاني الفروسية في القرون الوسطى[٢].

ويرى الشاطري في القَبْيَلة (القَبْوَلة) بأنها: "مجموعة من صفات مختلفة منها الحسن ومنها القبيح وهو الأغلب، فهي مزيج من الإباء، وحماية الجار، والأخذ بالثأر، وإغاثة الملهوف، وصلابة الرأي، ومن الظلم، والغشم، والاعتداء، وبطر الحق، والبطش والحمية الجاهلية "[٣]. تشغل كل قبيلة رقعة جغرافية تتميز بها عن غيرها وهي تعرف بالقرية أو المثوى، ولا تشارك القبيلة إلا حليفها الذي ينضم إليها وليس له الحق في التملك والبناء والزراعة إلا بما يسمح له مقدم القبيلة، وأحيانًا يتم التداخل بين القبائل عن طريق الجوار أو المصاهرة أو الحرب[٤].

إن وجود التداخل بين القبائل سواء كان عن طريق النسب، أو المصلحة المشتركة قد جعلها تتعصب لنفسها وفروعها، وأصبحت تلك العصبية تمثل الحلقة الرئيسة في التفاف القبيلة وفروعها حولها حتى إن كانت تلك الفروع متفرقة وبعيدة عن موطنها. كما أن شعور الفرد بانتمائه إلى قبيلة جعله يتصرف بسلوك يتناسب وما للقبيلة من ثقل ومكانة بين أوساط القبائل الأخرى. وفي المجتمع اليمني القبلي نجد الأسرة المتماسكة ومن عدد منها تتكون الفخيذة، ومن عدد من الفخائذ تتكون العشيرة، ومن العشائر تتكون القبيلة بوصفها وحدة سياسية واجتماعية محلية[٥].

---

(١) عبدالقادر محمد الصبان. عادات وتقاليد بالأحقاف. ص ٣٩.
(٢) محمد عبدالقادر بامطرف. المعلم عبدالحق، ص ٢٠٤.
(٣) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٢٤١.
(٤) عبدالقادر محمد الصبان. عادات وتقاليد بالأحقاف. ص ٣٩.
(٥) أحمد عطية المصري. النجم الأحمر فوق اليمن. الطبعة الثالثة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٨م. ص ٣٢.

وفي حضرموت يمكن أن يتسع ويضيق مصطلح القبيلة، وغالبًا ما نجد الوحدات التي يتكون منها البناء القبلي في الآتي:

١- الأسرة الممتدة، وهي العائلة المكونة من الأب وأبنائه وعوائلهم، ويطلق عليها كلمة (دار)، بمعنى العائلة الكبيرة الساكنة في منزل.

٢- الفخيذة، وهي مجموعة من الأسر الممتدة التي تلتقي في الجد الرابع أو الخامس، والتي غالبًا ما تكون منازلها متجاورة ويطلق عليها لفظة آل مع إضافة الجد الأعلى لها كآل عبود بن عمر آل حمد بن علي... إلخ.

٣- القبيلة أو البطن، تعد القاعدة الرئيسة للبناء القبلي الذي يضم الأسر الممتدة كافة، وتعد القبيلة الحلقة الاجتماعية الرئيسة التي بإمكانها أن تستمر كوحدة اقتصادية واجتماعية مستقلة تستطيع أن تلبي الحد الأدنى من مصالح أعضائها، وتقوم بواجب الدفاع عن هذه المصالح، وعن شرف كل فرد فيها، ويعود انتماء أفراد القبيلة إلى رجل واحد غالبًا ما يكون هو الجد الحقيقي الأعلى لجميع الأفراد، وهو معروف إما باسمه أو لقبه، وتستخدم الروابط الآتية للدلالة عليه بابن فلان (بن جسّار)، أبا فلان (بارحيم)، آل فلان (الجعيدي)[١].

توجد العديد من القبائل في أنحاء حضرموت مثل قبيلة نهد التي تعد أكبر قبيلة من حيث عدد رجالها[٢]، والقبائل الشنفرية، وقبائل بني ظنه، وسيبان، ونوح، والجعدة، والحموم، والديني، ويافع، وقسم كبير من هذه القبائل متحضرة يعمل أفرادها بالزراعة خاصةً النخيل معتمدين على الزراعة المطرية، وعلى العيون (المعايين)، كما اشتغل قسم من أفرادها بالتجارة[٣]، ومركز الثقل القبلي المتمثل

(١) عبدالعزيز جعفر بن عقيل. المرجع السابق. ص ١٥-١٧.

(٢) Jone. Hartly. The polities orginazation of Arab Tribs Hadramut. P 29.

(٣) محمد عبدالكريم عكاشة، قيام السلطنة القعيطية. ص ٢٢.

في الحكم والإدارة القبلية غالبًا ما يقع في القسم الحضري المستقر من القبيلة[١]، أما القبائل الرحل فقسم كبير منهم احترفوا الرعي والترحال من مكان إلى آخر[٢]، وقسم آخر احترف نقل التجارة على وسائط النقل المعروفة آنذاك الجمال[٣]، وتسكن أغلبية القبائل البدوية في المناطق الجبلية والمرتفعات، والأودية الصغيرة[٤]، وغالبية البدو الرحل صغار الأجسام، وبنيتهم ضعيفة، ولكن لهم قوة تحمل، ولا يعطون الانطباع بأنهم يعانون من نقص التغذية[٥].

إن المساحات الواسعة القاحلة في حضرموت ولدت في بدوها الشعور العميق بالحرية المطلقة، أما بطون الوديان حيث تحيط بالأفق جدران الصخور التي ترتفع إلى أكثر من ألف قدم فولدت في الناس حب العزلة مما عمق شعور المنافسة والتعصب للمنطقة[٦].

كانت الفوضى القبلية ضاربة أطنابها في مناطق القبائل الرحل، كما كانت موجودة في المدن الرئيسية، والمناطق المحيطة بها[٧]، وكثيرًا ما تنشب الحروب القبلية بسبب الغارات القبلية للاستحواذ على أراض جديدة، وأحيانًا لأتفه الأسباب، فالبنية القبلية لا تديرها الشريعة الإسلامية، وإنما يديرها القانون القبلي، وعمليًا تنظم حياة القبلية عن طريق العرف وحده[٨].

لقد تميز المجتمع القبلي بسلم خاص للقيم أعطى مكانة رفيعة لقيم القوة وما يتصل بها من حروب وغارات، وقيم الكرامة والحرية الشخصية التي ترفض

---

(١) عبدالعزيز جعفر بن عقيل. المرجع السابق. ص ١٥.
(٢) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١١١.
(٣) H. Ingrams. OP. cit. p 41.
(٤) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطة القعيطية. ص ٢٢.
(٥) D. Vander meulen and H. Von wissman. OP. Cit. p 35.
(٦) صلاح البكري. حضرموت وعدن، مطبعة المدني. مصر، ١٩٦٠م. ص ١٧١.
(٧) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١١٠.
(٨) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص ٥١٩.

الخضوع لأي سلطة، لهذا فإن الرجل من أفراد القبيلة يرى من واجبه حمل السلاح، والتدرب عليه منذ الصغر، والافتخار بامتلاكه للدفاع عن الكيان القبلي؛ وحمل السلاح هو الميزة المهمة في حضرموت واليمن بشكل عام[١]، وهناك موقف خاص للقبيلي من المهن الحرفية فهو ينظر إليها بعين الاحتقار.

فئات المجتمع الأخرى:

وهم أصحاب الحرف والخدمات الاجتماعية الضرورية والمتنوعة، ويمثلون مراتبيات هابطة المكانة في نظر المجتمع المحلي، الأمر الذي جعلها تتوزع على مختلف المراكز المدنية وشبه المدنية، في شكل عائلات محددة، لا يهمها تسلسل أنسابها في كثير أو قليل، أكثر من اهتمامها بحرفها والإجادة فيها وشهرة أسماء عوائلها[٢]، ويعتمد عليهم اقتصاد المنطقة، وهم لا يحملون السلاح، ويدفعون الضرائب[٣].

ويمكن أن نحصر أفراد هذه الفئات حسب التسمية المحلية في الآتي:

القرار - المساكين - الضعفاء - العبيد والصبيان

القرار:

وهم التجار ومعالمة البناء والكتبة والمدرسون، وكلمة القرار تعني في الأصل سكان القرية أو المدينة المستقرين منذ القدم تمييزًا لهم عن الوافدين المحدثين[٤].

المساكين:

يلون القرار في السلم الاجتماعي، وهم الحرفيون كالحدادين، والنجارين،

(١) عبدالعزيز جعفر بن عقيل. المرجع السابق. ص ١٤.
(٢) المرجع نفسه. ص ١٤.
(٣) H. Ingrams. op. cit. P 43.
(٤) ميخائيل رديونف. المرجع السابق. ص ٢٧٦.

والصاغة، وصائدي الأسماك، وعمال الغزل والنسيج (الحويك)، والدلل، والدباغين وغيرهم[١].

الضعفاء:

ويأتون في درجة سفلى، ويعرفون محليًا بالضعفة وهم الفلاحون وسموا بالضعفة لعدم استطاعتهم حماية أنفسهم بقوة السلاح[٢].

العبيد (الرقيق):

يرجع أصل العبيد إلى الحبشة ومن سواحل إفريقيا الشرقية[٣]، ورغم وضعهم المراتبي المتدني إلا أن لهم مكانتهم الخاصة ولهم حق الدخول في الأوساط الراقية، وذلك لشجاعتهم الحربية[٤]، وتمتلك الدولتان الكثيرية، والقعيطية أكبر نسبة من الرقيق وهم يلاقون من أسيادهم احترامًا ومعاملة حسنة، ويمثلون في واقع الأمر القوة الكبرى لحفظ النظام للدولتين القعيطية، والكثيرية، وقد يصل البعض منهم إلى أعلى المراتب الإدارية[٥].

الصبيان:

يطلق عليهم أيضًا (الأخدام) ويقعون في آخر السلم الاجتماعي، ويعمل بعضهم في الزراعة بأجر عيني، أو نقدي، وكذلك في أعمال الخدمات[٦]. وينقسم الصبيان إلى صبيان الجميع، وهذا يعني قيامهم بخدمة كل المنطقة أو الجماعة الساكنة معها، وإلى صبيان العوائل الذين يقومون بخدمة إحدى العوائل المنتمية للمراتبيات العليا، مقابل إكراميات متنوعة وضمانات بالحماية

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. المعلم عبدالحق. ص ٢٢٥.
(٢) ميخائيل رديونف. المرجع السابق. ص ٢٧٧.
(٣) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٣٦.
(٤) هارولد جاكوب. المرجع السابق. ص ١١٤.
(٥) p. 44 H. Ingrams. op cit.
(٦) H. Ingrams. op. cit. P 43.

وعدم المساس بهم[١].

ويظل أفراد هذه الفئات في تلك المرتبة المتدنية اجتماعيًا مهما تغير الوضع الاقتصادي، والاجتماعي للفرد، إذ يظل منتميًا للمستوى المعين نفسه لأبناء الفئة التي ينتمي إليها. خاصة أن اختلاف المهن كان عاملاً في تعزيز الفوارق الاجتماعية.

وفى النظام المراتبي بحضرموت قد يحدث التحرك الرأسي، والهابط خصوصًا في المراتبيات المتدنية، فمثلاً قد يستطيع الفلاح (الضعيف) أن يرتقي إلى مراتبية المساكين أو قد يحدث العكس. إذ إن الهبوط والارتقاء في السلم الاجتماعي عند هذه الفئات تحكمه الوظيفة الجديدة التي يشغلها الفرد أو العائلات، وكيفما كان القول فإن الفروق الاجتماعية المراتبية عند هذه الفئات المتدنية نجدها أقل وطأة من المراتبيات الثلاث العليا، وقد ينضم إلى هذه المراتبيات أفراد أو أسر من المشايخ، والقبائل لأسباب اقتصادية، واجتماعية، وثقافية.. فمثلاً من الأصول الكندية تحول آل مرتع، بابقي وباجبير إلى مراتبية القرار[٢].

ويظل السيد محتفظًا بوضعه المراتبي إلى حد كبير حتى لو اضطر إلى امتهان حرفة معينة، أو حمل السلاح، وقطن في مناطق القبائل البدوية، فيمثل النسب الشريف ورقة حجز ثابتة لإبقاء المكانة الاجتماعية التي يحتلها.

(١) ميخائيل رديونف. المرجع السابق. ص ٢٧٧.

(٢) عبدالعزيز بن عقيل. المرجع السابق. مجلة الثقافة، العدد الثاني والعشرون. ص ٤٥.

ويوضح الشكل الآتي الهبوط والارتقاء في المراتبيات المختلفة[١]:-

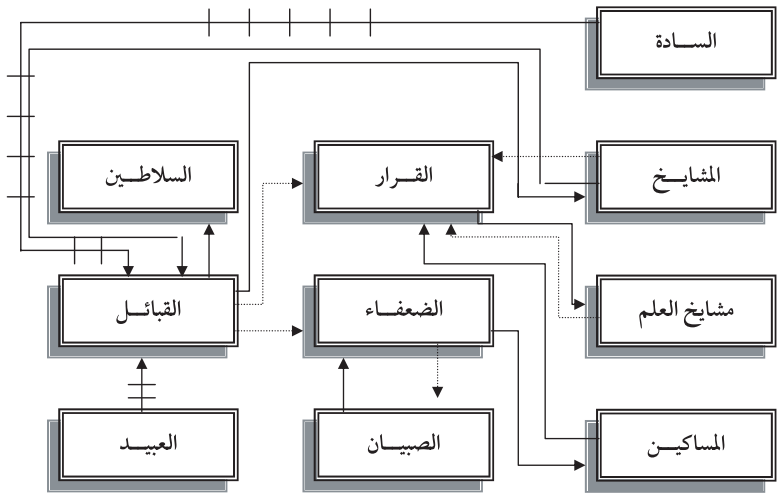

المفتـاح:-

إمكانية الانتقال إلى مراتبية عليا.

إمكانية الانتقال إلى نمط إحدى المراتبيات مع الاحتفاظ بالانتماء الأصلي.

إمكانية الانتقال إلى إحدى المراتبيات الدنيا.

(١) عبدالعزيز بن عقيل. المرجع السابق. العدد الحادي والعشرون. ص ١٣.

٢- العادات الاجتماعية:

أ) العادات القبلية:-

ترتبط العادات الاجتماعية في اليمن بالسلم المراتبي للمجتمع فإذا كان هناك العادات الاجتماعية المشتركة لمعظم المراتبيات، فإن هناك عادات خاصة لكل مراتبية تلتزم بها وتحافظ عليها. وقد لعبت الظروف الطبيعية في اليمن دورًا في تنوع العادات الاجتماعية، واللهجات، وذلك لضيق وتعرج تضاريسها التي كونت منافذ ضيقة الاجتياز والاتصال، ومن ناحية أخرى تقلب الأجواء في اليمن من جاف إلى معتدل ومن ليونة ورطوبة إلى حرارة شديدة[١].

وفي حضرموت هناك اختلاف في ظروف البيئة الجغرافية بين الساحل والداخل، فأدى ذلك إلى اختلاف مناشط الناس الاقتصادية، وعاداتهم الاجتماعية، ولكنهم أيضًا اشتركوا في عادات اجتماعية معينة. ومعروف عن الحضارم تمسكهم بما تعودوه، ويحثهم على ذلك الموروث الثقافي، والأمثلة الشعبية التي تكرر حتى الآن مثل: (قطع العادة عداوة)، (العادة فوق كل شيء).

ولاشك أنه من منطلق دراسة العادات الاجتماعية يمكن أن نتعرف على واقع الناس ونفسياتهم واتجاهاتهم وتاريخهم. وللوقوف على طبيعة المجتمع القبلي في حضرموت سنذكر أولاً أهم العادات الاجتماعية القبلية:

الشجاعة: تمثل إحدى أهم القيم التي تميز رجل القبيلة عن بقية فئات المجتمع، لهذا ارتبطت حياة القبائل بالعزيمة والإقدام، ففي حالة دخول القبيلة في حرب يلتزم أفرادها جميعًا بخوض المعارك، فارتباط رجل القبيلة بقبيلته يفوق كل ارتباط، فلحمة النسب واتباع الأعراف هي الموجه والمسيطر على شخصيته[٢]،

---

(١) أحمد علي الأكوع الحوالي. المرجع السابق. ص ٣٦.

(٢) عبدالقادر محمد الصبان. لمحة عن حياة البادية. مؤسسة الطباعة والنشر، عدن، ١٩٧٨م. ص ٢٥-٢٦.

ولا تقتصر شجاعة القبيلي في الدفاع عن قبيلته فقط بل يشارك في القتال إذا حدث هجوم على قبيلة أخرى وهو عندها[١]. وإذا لم يفعل ذلك يصيبه اللوم والشؤم وهو العار الذي لا يغسله إلا الدم.

الكرم: القبيلي كريم بالطبيعة فعندما يهل عليه الضيف يقدم له الطعام والملجأ والحماية، ويستقبل ضيوفه المهمين بـ (التعشيرة) وهي إطلاق الرصاص في الهواء[٢].

الوفاء بالعهد: وهي من القيم التي حافظت عليها معظم القبائل الحضرمية واشتهرت بها، فهم لا ينكثون وعدًا بل إذا أخذ فرد منهم وعدًا باسم قبيلته تلتزم القبيلة بذلك الوعد[٣]، وهذا ما يعرف بمبدأ (في الوجه أو الشل) ومعناه إذا أراد فرد أو قبيلة حماية شخص ما أو قافلة أو غير ذلك، فإنه يرفع سبابته ويضعها على جبينه ويقول (في وجهي)، أو (بديت لك في وجهي) ويصير القبيلي حاميًا ولا يجوز اختراق ذمته[٤]. وإذا التقى شخصان من قبيلتين متخاصمتين وسلم أحدهما على الآخر ورد الآخر السلام فإن ذلك يمنعهما من القتال في ذلك الحين، وإذا حدث واعتدى أحدهما على الآخر فإن ذلك يعد عملاً شائنًا لا تقره التقاليد وقد يستوجب طرد القبيلي من منطقته[٥].

ونتيجة للفوضى القبلية، وانعدام الأمن والظروف الاقتصادية الصعبة التي عاناها معظم السكان وخاصة القبائل، فقد انتشرت بعض الظواهر والعادات السيئة مثل:

الشراحة: وهي حراسة النخيل أيام الخريف، فقد كان أصحاب الأموال

---

(١) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٣٤٤.
(٢) حمزة علي لقمان. تاريخ القبائل اليمنية. الجزء الأول، دار الكلمة، ١٩٨٥م. ص ٢٢.
(٣) Ingrams. op. cit. 41.
(٤) عبدالقادر محمد الصبان. لمحة عن حياة البادية. ص ٢٧.
(٥) حمزة علي لقمان. المرجع السابق. ص ١٤.

يجبرون على وضع حراس من القبائل على نخيلهم المثمرة الكائنة في المناطق القبلية، وإلا تعرض الثمر للسرقة من القبائل أنفسها[١]، ثم يتحكم الشارح (الحارس) في النخيل وثمره، ولا يستطيع مالكه التصرف فيه إلا بإذن وموافقة الشارح، وتسمي القبائل هذه الشراحة باطلاً.

ومن أمثلة الحراسات المفروضة (التربع) وهو تقدم صغار الفلاحين بطلب الحماية من مقدم القبيلة مقابل جزء من المحصول[٢]، وإذا قتل أحد هؤلاء المزارعين المتربعين من قبل أفراد قبيلة أخرى فيعد دمه مهدرًا، وغالبًا ما يكون رد القبيلة هو قتل متربعٍ عند قبيلة القاتل كنوع من قتل الأنداد[٣].

الغزو (الإغارة): كان الغزو أو الإغارة أحد الدعائم الاقتصادية للنظام القبلي خاصةً قبائل الصحراء والقبائل الرحل، أما الغنائم فهي الجمال والأسلحة ولا يمس الأطفال والنساء[٤]، وأحيانًا تكون الإغارة للثأر والانتقام.

الثأر: ويمثل الثأر أخطر الظواهر الاجتماعية والتي كانت لها آثارها السلبية على أمن واستقرار وتطور المجتمع، والتي عانت منها معظم القبائل والأفخاذ، خاصةً في المناطق التي تقع خارج نطاق سيطرة السلطنتين القعيطية والكثيرية، فتتربص قبيلة المقتول لأي فرد من أفراد قبيلة القاتل ويقولون (الطارف غريم) أو (الطارف ينقي)، أي ينظف الوجه ويغسل لطخات العار عار التأجيل بالأخذ بالثأر[٥].

إن هذا المبدأ وإن كان بعيدًا عن العدالة فإن له دوافع ومعادلات وهي:

١- أفراد القبيلة في العرف القبلي كل لا يتجزأ.

٢- إعلان الصلح والحرب من قبل القبيلي يعني إلتزام القبيلة كلها.

---

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. المعلم عبدالحق. ص ١٣٣.
(٢) مقابلة مع المعمر: عمر بن أحمد بن جسار (٧٤ عامًا) من ضواحي حريضة بوادي عمد.
(٣) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٢٤١.
(٤) حمزة علي لقمان. المرجع السابق. ص ١٠.
(٥) عبدالقادر محمد الصبان. لمحة عن حياة البادية. ص ٣٣.

٣- اللوم والشؤم اللاحق بفرد من القبيلة لاحق بالقبيلة كلها.

٤- القبيلة ككل مسئولة عن عمل الفرد ولا ترتفع عنها المسؤولية إلا إذا تبرأت منه.

ومما ساعد على بروز هذه الظاهرة أن معظم قبائل حضرموت لا تقبل الدية في القتيل ويعدون ذلك عيبًا وجبنًا[١].

وحتى الثلاثينيات من هذا القرن تصاعدت الخلافات القبلية بشكل خطر، واضطرت بعض العائلات في البقاء في بيوتها لعقود طويلة[٢]، لقد جعلت ظاهرة الثأر المناطق القبلية وكأنها ثكنات عسكرية مستعدة للقتال أو الدفاع أو مخططة للهجوم أو متحينة للفرص. ومع ذلك، وحتى يرعى الناس مصالحهم ولو بصورة ضيقة، تدخل القبائل المتنازعة في فترات سلم مؤقت تعرف (بالعرضة)، إذ تتقدم إحدى القبائل بطلب إيقاف القتال لمدة محددة وعند الموافقة يلتزم الطرفان التزامًا صارمًا بوقف الاقتتال حتى نهاية المدة. ويساعد أيضًا على تخفيف القيود التي تفرضها ظاهرة الثأر عادة (السيارة) أو (السير)، وهي أن يطلب القبيلي خفارة أحد أفراد القبائل الأخرى التي لا علاقة لها بالنزاع (فيشله في وجهه) أو في حمايته، وتحترم القبائل المطالبة بالثأر (السيّر) لأن الاعتداء على المحتمي يعد اعتداء على الحامي وقبيلته. لقد ساعدت هذه العادة على تحقيق التواصل القبلي.

وفي الحالات المهمة كالتحالف القبلي أو الصلح الدائم يكتب ذلك في وثائق تسمى (الوثور) جمع وثر، ونلاحظ في معظم الوثور التي رجعنا إليها تكرار صيغة محددة وهي:

---

(١) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١١٥.

(٢) فرد هوليداي. الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية. ترجمة: حازم صاغية، وسعد محيو. الطبعة الثانية، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨م. ص ١١٧.

(الحمد لله) في بداية الوثر.

(شلوا واحتملوا وبدو بوجوههم)..... (مبدأ قبولة أبدًا ما تناسلوا)..... (حتى يشيب الغراب ويفنى التراب)..... (من راده عايب ومن قابله عايب)

ب) الرقصات والألعاب الشعبية:

رقصة القنيص: إن صلة الإنسان اليمني بالوعل صلة موغلة في القدم، وقد ظهرت صور للوعل في نقوش حضارات اليمن القديم، حتى أصبح الوعل شعار اليمن القديم[١]، ويعد قنيص الوعيل (صيد الوعل) الرياضة الكبرى في حضرموت، وهي رياضة شتوية بحكم مناخ المنطقة، ويعلن عن أوقات الصيد في كل منطقة على حده، ويستعد عدد من الرجال ويذهبون إلى الجبال والهضاب القريبة ويحضرون معهم الحبال، والكلاب، وعند نجاح القنيص يرسلون عند عودتهم البشير استعدادًا للأفراح، ويحملون رؤوس الأوعال، ويدخلون المدن، والقرى، في زجل وأناشيد (زوامل) جمع زامل وهي تصويت القبائل بالشعر في أثناء سيرهم القبلي في أفراحهم حتى يصلوا مقصدهم[٢].

تقام الرقصة على إيقاع وألحان (بني مغراة)، وتعني هذه الكلمة الرجال الذين يصحبون معهم كلاب الصيد والمغراة هي الحبل أو الجلد أو السلسلة التي تطوق عنق كلاب الصيد، والتي تلعب دورًا في اصطياد الوعول[٣].

والراقصون تارةً يكونون أربعة وتارةً اثنين فقط ومن الرجال في كلتا الحالتين، وعندما يكون الراقصون أربعة يشكل كل منهم صفًا مواجهًا للآخر، فيأخذ اثنان الاتجاه والقفز نحو الفرقة بينما يأخذ الاثنان الآخران في القفز والتقاطع للصف المواجه ثم يدور كلّ اثنين منهما في منطقته ثم يجتمع الأربعة

(١) جعفر محمد السقاف. لمحات من الأغاني والرقصات الشعبية في محافظة حضرموت، دار الفارابي، بيروت. ص ٣١.
(٢) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الأول. ص ٢٨٨.
(٣) محمد عبدالقادر بامطرف. المعلم عبدالحق. ص ١٠٣.

وينحنون معًا إلى الأرض في خفة ورشاقة[١].

رقصة الغية: يرقصها الرجال في صفين متقابلين وبإيقاع خفيف، وغناء، ورقص بالأكف، فتدخل الراقصة (البدوية) بثوب مزركش، وخلاخل، وأساور، ويقابلها الراقص ويمشي إلى الخلف تحت إيقاع الطبول، والراقصة تتبعه، وهكذا راقص بعد آخر.

رقصة الدحيفا: وهي رقصة جماعية تخصص دائرة للراقصين، ويصحب الرقص غناء جماعي على إيقاع يدعى (الهبيش).

رقصة الشبواني: وهي رقصة الحرب والسلم بقسميها، مسيرة العدة، والرقصة عقب الشعر، وتقام هذه الرقصة في كل مناطق حضرموت، إذ يقف صفان من الرجال فقط تتوسطهم العدة (فرقة الطبول) ويتماسك اللاعبون بأيديهم متشابكة، ويغنون على إيقاع الفرقة ثم يثبون إلى الساحة ويعودون إلى الوراء محدثين حركة رياضية خاصة لا يتقنها إلا الراقصون المتمرسون[٢].

رقصة الكاسر: يقوم بها رجال البحر الذين يمخرون عبابه، ويسافرون بسفنهم الشراعية في رحلات تجارية طويلة، وهي رقصة جماعية معبرة تضرب فيها الدفوف - الطيران - والمراويس، والصاجات تحت نغم السمسمية.

رقصة الدربوكا: يقوم بها الصيادون على ساحل البحر، وفي مناسبات خاصة فيصطف اللاعبون جلوسًا على ركبهم في دائرة واسعة، وفي مقدمة الدائرة الفرقة المكونة من عازف سمسمية، وثلاثة إيقاعات مختلفة (دنابق) اثنان منهما ملزمان بإيقاع (التمسيك) بينما مهمة الثالث (التخريط) وهو تلوين الإيقاع

(١) جعفر محمد السقاف. المرجع السابق. ص ٣٢.

(٢) جعفر محمد السقاف. لمحات من الأغاني والرقصات الشعبية في محافظة حضرموت. ص ١٠ وما بعدها.. ولمزيد من المعلومات عن الرقصات والأغاني الشعبية، انظر وثائق ندوة الموروث الشعبي في حضرموت المنعقدة في المركز الثقافي للأنشطة التربوية والتنموية، بغيل باوزير في ٢٨/ ٩/ ١٩٩٨م.

وزخرفته بينما يقوم عازف السمسمية بغناء الشعر، ويصفق الجميع بأكفهم.

ج) الأغاني الشعبية المهنية:

أغاني الطلوع إلى البحر: تغنى على إيقاع الصوت الذي يحدثه انتظام المجاديف بسطح البحر خلال عملية التجديف، فيبدأ الصيادون بقولهم (هي لله شي) ثم ينشد أحدهم أبياتًا مسجعة تناسب النغم، أما أغنية (هيله لقدوم) فتغنى عند توجههم داخل البحر إلى جهة معينة، ثم أغنية (هلي يانوش) أو (هيلي نونيش) وتغنى عند تعمقهم داخل غبة البحر استعدادًا للصيد.

أغاني العودة من البحر: تغنى عند عودة الصيادين من البحر إلى البر فتغني المجموعة (هيلى على البر) وبعضهم هكذا (هيلي يروينا)، وهناك الأغاني الخاصة عند صيد أنواع معينة من الأسماك، وعند ترميم وإصلاح الشباك.

أغاني السناوة[١]: وهي من أغاني الفلاحين الشجية، وهي نوعان.. نوع انفرادي يقوم به الشخص من الجنسين الذي يساعد الحيوان في سحب الدلو من البئر، فيغني لقتل الوقت خلال عملية السناوة المملة. أما النوع الجماعي ويسمى صوت (المتحاه) أو (المخلع) أي صوت الختام، فيقوم به عدد من المزارعين خلال عملية السناوة، ويشترك الرجال والنساء في الإنشاد، وتكون أصواتهم مع صوت صرير البكرة عند عملية السناوة، وكأنها معزوفة جميلة.

أغنية التأبير: تغنى في أثناء تلقيح النخيل، ويقوم بها الرجل بحكم قوته الجسدية، حيث يتسلق أشجار النخيل في الصباح الباكر ويبدأ غناؤه هكذا (ما لا مالي.. مال مالاه.. ماليه)[٢].

وهناك أغاني الحصاد (الصراب)، وأغاني التقليف (فرز النوى عن التمر) والتقصيف (قطع جرائد النخل). ومن أغاني العمل الحرفي أغنية النجارين التي

(١) سوف نتناول الحديث عن السناوة في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٢) ربما تكون مشتقة من إملا الدلو بالماء أو يا مالي الدلو - وقد يعنى بها المال.

يتغنون بها بطريقة جماعية خلال قيامهم بشق الأخشاب فيومي الصوت المنبعث من المناشير أنغامًا تدعو للغناء مثل:

يـا مـروح ضـواك الـلـيـل والـشـمـس غـابـت
عـاد نـحـن طـربـنـا والـمـنـاشـيـر طـابـت

وهناك أغاني الكلس (صناعة الجير) التي تغنى جماعيًا على إيقاع ضرب الكلس بالعصا الغليظة.

أغاني الدان الشعبي: تعد من أشهر الأغاني الشعبية، وكلمة دان نطقًا ولحنًا تقال على مستوى الجزيرة العربية، وأحدث تفسير لكلمة دان أنها اسم جوهرة من جواهر البحر، وتعني ليلة دان في الخليج (ليلة مضيئة) كالجوهرة.

تختلف أغاني الدان باختلاف طبيعة ومناخ حضرموت، ففي منطقة دوعن حيث يضيق الوادي، وتشح الأمطار، وتقل التربة الزراعية، تسود الأغاني خشونة وجفاف. وفي داخل حضرموت حيث ينبسط الوادي، وتنتشر المزارع وحيث البحر في الشريط الساحلي تصدر الألحان رقيقة النغم طويلة النفس.

أغاني المرأة: تغنيها المرأة عند قيامها بالأعمال المنزلية لتخفف وطأة العمل عليها. وهذه الأغاني تقوم بها المرأة بطريقة فردية، وجماعية، وتختلف أنغامها وإيقاعها باختلاف إدارة العمل المستعملة، ومن هذه الأغاني:-

١- أغاني الطحين عند قيام المرأة بطحن الحبوب على الرحى الحجرية.
٢- أغاني الرضيح عند قيام المرأة بدق نوى البلح كعلف للماشية.
٣- أغاني الرهي عند قيام المرأة بسحق الحبوب على المرها والعالي[١].

(١) الرهى حجرة مستطيلة توضع قبالة المرأة ويوضع عليها الطعام، والعالي حجرة أخرى في حجم عضد اليد تمسكها المرأة بيدها وتضغط عليها الطعام - الحبوب - لسحقها حتى تصير ناعمة.

التوشيحات الدينية: تؤدى التوشيحات في مناسبات متعددة وأهم هذه التوشيحات، توشيح شهر رمضان، وتوشيح قصة المولد النبوي الشريف، وتواشيح الطرق الصوفية وتسمى (الحضرات).

٣- المرأة والعادات الاجتماعية:

لعبت المرأة اليمنية دورًا بارزًا في التاريخ اليمني، فقد برز البعض منهن على المسرح السياسي قبل الإسلام، وبعده، كما ظهرن أخريات في عالم الفكر والثقافة ولهن الإسهامات المبدعة في هذا المجال.[١] وفي فترة الدراسة عانت المرأة اليمنية صنوفًا من القهر والتخلف والإذلال كانعكاس طبيعي لتخلف المجتمع، ولكن تفاوتت درجات المعاناة من منطقة إلى أخرى، ففي حضرموت تمتعت المرأة باحترام يفوق ما تتمتع به شقيقاتها في بقية اليمن، فالنساء في حضرموت مثلاً لا يعشن في طبقات تقع دون الطبقات التي يعيش فيها الرجال بل في طبقات أعلى منها ولم تكن مجهولة في الحياة العامة كما هو حالها في بعض مناطق اليمن الأخرى[٢].

عمل المرأة:

يختلف عمل ودور المرأة الحضرمية في الريف، والمدينة، وباختلاف المراتبيات التي ينتمين إليها، فقد كانت المرأة في الريف تشارك الرجل العمل في الحقل، وتربية الحيوان علاوة على وظائفها كأم وأعمالها المنزلية[٣]، فهي تشكل قوة إنتاجية حقيقية، عكس نساء المدينة اللواتي أجبرن على التزام المنزل، واقتصار

(١) سلطان ناجي. الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمرأة في المجتمع اليمني. مجلة العلوم الاجتماعية، تصدر عن جامعة الكويت، العدد الأول، السنة الثالثة، إبريل، ١٩٨٠م. ص ٣٥.

(٢) أيفاهويك. سنوات في اليمن وحضرموت. ترجمة: خيري حماد. دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٢م. ص ١٥٧.

(٣) أحمد عطية المصري. المرجع السابق. ص ٣١.

مهامهن على تربية الأطفال. إن المحيط الاجتماعي بالنسبة للمرأة في الريف أسلم وإن كن يؤدين مقابل بعض الامتيازات أثمانًا غالية من صحتهن[١].

الحجاب:

تختلف درجات الحجاب كثيرًا باختلاف المناطق واختلاف المراتبيات الاجتماعية. فكان الاختلاط شائعًا بين نساء البادية ورجالها، فعند معظم القبائل اليمنية تتحرك المرأة بحرية تامة[٢]، وينطبق هذا على نساء المراتبيات الفقيرة. أما في المدن فإن الاختلاط محدود، بل هناك عادة الفصل بين النساء (المتزوجات) والبنات[٣]. وفي المجتمع المدني يسمح للبنت بالحركة حيثما شاءت حتى تبلغ سن العاشرة تحجب تهيئة للزواج[٤].

إن الحجاب الصارم ينطبق غالبًا على نساء السادة، فيمثل علامة مرتبة اجتماعية استمر بقوة العادة، ولا يمثل عبئًا على المرأة[٥]، وفي بعض الحالات لا يسمح للرجل أن يظهر على زوجة أخيه.

الزواج:

كان الزواج المبكر هو الشائع في المناطق كافة، للاعتقاد أن الزواج المبكر يصرف الولد عن الانزلاق، والانحراف، وزواج البنت ستر لها، ويتم الزواج للبنت عادة بين سني الثالثة عشرة والرابعة عشرة[٦]، وربما يكون هدف الزواج المبكر عند القبائل هو زيادة عدد أفرادها، وتعزيز القبيلة بدماء جديدة تسهم

---

(١) محمد سعيد العطار. المرجع السابق. ص ١٢٠.
(٢) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٢٧٦.
(٣) R. B. Sergeant. Recent Marriage Iegislation from Mukalla with notes on Marriage, costom. 1962. P. 493 - 494.
(٤) H. Ingrams. OP. cit. P. 49.
(٥) R. B. Serjeant. OP. cit. P. 494.
(٦) مقابلة شخصية مع عدد من النساء المسنات.

مستقبلاً في إبراز دورها، وفرض هيبتها خاصةً أن الغلبة في المجتمع القبلي للأكثر والأقوى. ولسهولة الاختلاط في أوساط القبائل نجد علاقات التعارف قبل الزواج تتم بين الشاب والفتاة وربما يختلي بها دون أن يمسها حتى إذا توطدت بينهما عرى الحب تزوجا(١).

ويتم الزواج في البوادي على أساس عادة (الرفقة)، وهي حق الشاب من الزواج من ابنة عمه إلى درجة امتلاكه حق توقيف زواجها من شخص غريب(٢). ويضطر ابن العم في الزواج من ابنة عمه إذا كانت مصابة بمرض سبب لها عيبًا، أو تعدت سنوات الزواج المتعارف عليها ولم يرغب أحد في الزواج منها، وهذا ما يعرف بالحمية وهي غيرة ابن العم على ابنة العم(٣).

وكان الزواج الأفقي هو السائد في حضرموت، وقد ساعد هذا النوع من الزواج في المحافظة على بقاء المراتبيات المختلفة وعدم حراكها، ونجد ذلك بصورة أشد عند السادة الذين يتمسكون بموضوع الكفاءة في الزواج، بمعنى أنهم لا يزوجون بناتهم إلا للسادة فقط(٤)، وبالطبع فإن من نتائج تطبيق مبدأ الكفاءة في الزواج بتلك الصرامة بروز ظاهرة الترمل والعنوسة بين بنات السادة.

الخطوبة:

تتم الخطوبة عن طريق العسس، وهي التمهيد لقبول الشاب الخاطب، أو عدم قبوله، وغالبًا ما تقوم بذلك وسيطة مكلفة من قبل الأم، وعندما تشعر الوسيطة باستحسان في اللقاء، تأتي الأم لتطلب يد الفتاة وعند الموافقة يحدد يوم للطلب الرسمي، حيث يحضر والد الشاب وأقاربه ويتم الطلب والاتفاق

(١) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١١٢.
(٢) عبدالعزيز جعفر بن عقيل. المرجع السابق. العدد الحادي والعشرون. ص ١٨.
(٣) عبدالقادر محمد الصبان. لمحة عن حياة البادية. ص ٤٢.
(٤) سلطان ناجي. الحقوق الاجتماعية للمرأة في المجتمع اليمني. ص ٥٢.

على المهر، والجهاز، واللوازم الأخرى[١].

المهر:

وهو ما يقدم من مال نقدي، أو عيني إلى المرأة المخطوبة بوساطة وليها ويتم تحديد مقداره بين الطرفين آخذين بعين الاعتبار حال المرأة بكرًا أو ثيبًا. كما يختلف مقدار المهر من مكان لآخر تبعًا للحالة المادية والمكانة الاجتماعية ويختلف مقدار المهر بين الأقارب والغرباء.

الطرح:

عادة يمنية عامة، ويقدم لمساعدة العريس في تحمل أعباء الزواج والحياة المعيشية المستقبلية، وهو عبارة عن مساعدة مالية تقدم في احتفال يعد خصيصًا لذلك، ويختلف مقدار الطرح وفقًا لقرابة الطارح من العريس، ولا يقتصر الطرح على العريس فقط بل تسهم النساء بالطرح لأهل العروسة. ويمثل الطرح بالنسبة للعروسين دينًا عليهم لابد أن يفيا به لمن قدمه لهما.

زينة المرأة:

رغم ما في حياة المرأة البدوية من بؤس وبدائية إلا أنها تبذل جهدًا كبيرًا لتبدو جملية فتثقب الحافة الخارجية للأذن بثقوب صغيرة منذ سن مبكرة ثم تعلق فيها حلقات فضية، وتزين صدرها بسلاسل فضية تتدلى من رقبتها[٢]. وفي المدن تسرح النساء شعورهن بأشكال مختلفة، ويعد المشط الأداة التي تسرح به المرأة شعرها بعد غسله ببعض المواد كأوراق السدر (الغسه)، أو بنوع من الطين الخاص، كما تصبغ بعض النساء أجسامهن ببعض النباتات الطبيعية كالهرد، والورس، ويزينّ أكفهن بالحناء.

---

(١) لمزيد من المعلومات عن عادات الزواج في حضرموت انظر: عبدالقادر محمد الصبان. عادات وتقاليد بالأحقاف.

(٢) Vander Meulen and Von Wissman. OP. cit. P 24.

كما قد تتزين المرأة بالوشم الذي كان منتشرًا أو معروفًا عند العرب، حيث تحقن المرأة بالإبرة على ذراعها ثم تحشوه بالتنور (وهو دخان الشحم) بحيث يعطي شكلاً معينًا، وتظل آثار الوشم باقية لا تُزال إلا بصعوبة بالغة.

وتلبس المرأة البدوية لباسًا مصبوغًا بالنيلة أشبه بالفستان يصل من رقبتها إلى أخمص قدميها، وعلى رأسها غطاء أسود شفاف يصل إلى كتفها، ولا يبدو منها شيء سواء وجهها ويدها وكفها[١]. وفي المدن تلبس المرأة النقاب فوق الأقمصة إذا خرجن من البيوت ومعظمهن يغطين وجوههن، ومنهن من تكشف عينيها[٢].

احتفالات الزواج:

تقام الحفلات بمناسبة الزواج لإضفاء الصبغة الاجتماعية القانونية لذلك الزواج. وتختلف الحفلات باختلاف الفئة الاجتماعية التي تقيم تلك الحفلات من حيث طول فترتها وتكاليفها فذوو الإمكانات الكبيرة يتكلفون في إظهار فرحتهم، ومقدرتهم على الضيافة، وذوو الإمكانات المتواضعة يحاولون الاختصار، والاكتفاء بما هو ضروري.

وتقام ضمن احتفالات الزواج بعض الرقصات الشعبية كالبدع، والزامل، والبدع يتم أداؤه بثلاثة رجال وهو رقصة سريعة الحركة مع وضع بعض الأسلحة على الأكتاف. والزامل أصوات شعرية ملحنة يتصف قائلها بالسرعة والبديهية والحنكة خاصة أنه يوجد في أثناء الزامل فريقان متضادان يتبادلان الأقوال ويكون لتلك الأقوال تأثير وقتي على المستمعين، كما تقام بعض الرقصات الشعبية المذكورة آنفًا.

وتنشد النساء الخيبعان وهو شعر غنائي يعدد أوصاف ومحاسن العروسة،

(١) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١١١.
(٢) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٢٧٦.

وصفات أهلها، فتبتدئ الشاعرة بترديد:

ياخيب عان وهو دعا على الحاسد بالخيبة

أو هداني يا هداني أي اهدأن أيتها النساء واستمعن ما يملى عليكم[١]

الإنجاب:

يفضل الحضارم كغيرهم من العرب وكثير من الشعوب الأخرى إنجاب الذكور على الإناث، وذلك لما تناط بالذكور من مهام على صعيد الحياة اليومية، وكسب العيش، والأعمال الشاقة، وتزداد أهمية الذكور عند القبائل لزيادة عدد المدافعين على حياض القبيلة[٢].

وقد احتلت عملية الإنجاب مكانة خاصة في حياة المجتمع إذ يعد ويجهز للمولود من الشهر السابع من الحمل، وذلك من خلال نقل المرأة الحامل إلى منزل أبيها حيث يوضع لها برنامج يراعي فيه وضعها.

وتحظى الأيام الأخيرة من الشهر الأخير في حياة المرأة الحامل بسرية مطلقة بين الأقارب، وغالبًا ما تتم الولادة بوساطة القابلة التي تستعمل الأدوية المحلية لتسهيل الولادة مثل السليط العربي (زيت السمسم)، والحبة السوداء، والورس، والقرفة المسحوقة، وبعد الولادة يحنك المولود بقليل من العسل، أو التمر، أو السكر.

وكان لكل مراتبية أسماء خاصة لها وأحيانًا أسماء مشتركة فمثلاً تأكيدًا لتمايز مراتبية السادة على القبائل كان ينطق اسم علي بفتح العين عند السادة، وكسر العين عند القبائل، وكذلك اسم محمد تفتح الحاء عند السادة، وتكسر عند القبائل، وعند المراتبيات المتدنية نجد أسماء التصغير كثيرة مثل حميد / مبيريك / صويلح.. وأحيانًا يكون لمراتبية السادة والمشايخ دورٌ في اختيار مثل هذه الأسماء.

---

(١) عبدالقادر محمد الصبان. عادات وتقاليد بالأحقاف. ص ١٣٤.

(٢) أيفاهويك. المرجع السابق. ص ١٥٧.

وحول هذه المسألة قال الشاعر الشعبي خميس الكندي:

وتدخلوا في اسمه وفي قوته وحتى في كساه
عبيد لا يمكن يسمي عندهم عبد الإله

الختان:

تختلف أوقات عادة الختان من منطقة إلى أخرى ففي الحواضر يكون الختان غالبًا في اليوم السابع من الولادة، وفي البوادي ما بين سن الثامنة إلى سن الخامسة عشرة، وترتفع سنوات الختان عند بعض القبائل كالصيعر إلى فترة قصيرة من الزواج[١].

والختّان هو الرجل الذي يختن للأطفال، وغالبًا ما يكون لكل قرية أو بلدة ختّان، وتتوارث هذه المهنة أسر معينة، وقبل مزاولة الختّان للعمل يطلب الإذن من المنصب، أو من الحبيب، أو الشيخ فيرتب له الفاتحة، ويأذن له بالختان[٢].

وفي عملية الختان تستعمل الموسى لجز الجلفة أي قطع الجلدة التي تغطي الحشفة، وبعد القطع يوضع على ذكر المختون أدوية محلية لتخفيف الألم، ووقف الدم.

والختان في البادية غالبًا ما يكون جماعيًا، ويقيم رجال القبائل حفلات مشهودة يحضرها شباب القبيلة التي تجرى لهم العملية، وتكون امتحانًا لشجاعتهم وصبرهم، وقوة احتمالهم للألم[٣]، ويجتمع الرجال والنساء المشاهدون في حلقة واسعة تتوسطها صخرة يجلس عليها الشباب استعدادًا للختان، وفي الوقت الذي تجرى فيه عملية الختان يرتفع صوته معتزًا[٤] بقبيلته وأسرته وبعد إتمام العملية

(١) لقاء مع المعمر: مبروك بن مرعي الصيعري (٧٤ عامًا).
(٢) عبدالقادر محمد الصبان. عادات وتقاليد بالأحقاف. ص ١٧٤.
(٣) حمزة علي لقمان. المرجع السابق. ص ٢٣.
(٤) في مثل هذه المواقف والأفراح أو مع بداية العمليات القتالية أو نهايتها يظهر الاعتزاز القبلي ويسمى محليًا «العزوة القبلية» وهي التفاخر على القبائل الأخرى فالعزوة عند نهد مثلاً:
قحطان يا غلابة كم من قبيلي كسرنا نابه.
عند الجعده:
بني مرة يا غلابة كم من قبيلي كسرنا نابه.

تبتدي مسيرة الزوامل، وإطلاق النار، وأفراح الختان.

أما ختان البنت في حضرموت فقد كان شائعًا ولكن لم يكن مطلقًا كختان الابن فهناك بعض الأسر والقبائل لا تختن للبنات، وتختلف فرحة ختان الابن عن ختان البنت كاختلاف فرحتهم بالمولود الذكر والأنثى، وتقوم بعملية الختان للبنات نساء اكتسبن هذه الخبرة عن طريق الممارسة، وغالبًا ما تتم عملية (الخشاف) للأذن مع عملية الختان.

٤- الأوضاع الصحية:

كانت الأوضاع الصحية في اليمن متدهورة، ومتخلفة للغاية، وقد كتبت الطبيبة الفرنسية (كلودي فايان) عن الأوضاع الصحية في عهد الإمام أحمد وأشارت إلى أنه توجد في عهده وزارة صحة بلا مستشفيات وأطباء وأدوية إلا مستشفى صغير بصنعاء، وبعض المدن الرئيسة يتداوى فيها أسرة الإمام والمقربون إليه فقط[١]. ولاحظت أن الإمام نفسه يباشر المداواة، فكان المواطنون يأتون من مسافات بعيدة لالتماس الشفاء من أمراضهم منه، ولكي يمد يده الكريمة ويمسح بها على رؤوسهم وأكتافهم، وفي كتابها «كنت طبيبة في اليمن» وصفٌ كاملٌ للحالة الصحية لأبناء اليمن، والمستشفيات، ومن خلال وصفها للحالة الصحية ندرك مدى القسوة، وشدة الألم التي كان يعاني منها المرضى.

ولا يختلف الأمر كثيرًا في بقية مناطق اليمن، ففي جنوب اليمن المحتل الذي كان يعرف بمحمية عدن الغربية، والشرقية، انتشرت فيه الأمراض بمختلف أشكالها وأنواعها[٢]، وهناك استثناء يسير لمستعمرة عدن حيث كانت

(١) كلودي فايان. كنت طبيبة في اليمن. ترجمة: محسن العيني. دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م. ص ٧٠.

(٢) قحطان الشعبي. الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية. دار النصر للطباعة، القاهرة. ص٨٣.

توجد بها خدمات صحية حديثة ولكنها كانت متاحة فقط للمستعمرين، وأعوانهم، والأغنياء.

المؤسسات الطبية:

حتى ثلاثينيات هذا القرن لا يوجد في حضرموت الساحل أطباء فنيون، ولا مخازن أدوية[١]، واستمر الوضع هكذا حتى بداية الأربعينيات عندما تأسست مصلحة الصحة بالمكلا[٢]، ثم بدأت الحكومة القعيطية عام **١٩٤٣**م بتنفيذ مشروع بناء المستشفى الأهلي بالمكلا[٣]، وفي هذه الفترة فتح طبيب إيطالي له عيادة في المكلا ولكنه لم يدم طويلاً[٤] كما بدأت تصل بعض البعثات الطبية إلى المكلا منها بعثة الدكتورة (بارتجن) التي تقبل سكان المكلا وصولها بالاستحسان لكون النساء يفضلن أن يكشف عليهن امرأةً[٥].

وفي حضرموت الداخل على العموم ليست الحال بأحسن حال، وإن كانت وجدت جهود محمودة لأسرة آل الكاف في المجال الصحي في تريم وقد وصف (فان در ميولين) هذه الجهود وقال: "في داخل حضرموت الداخل استقدم السيد أبو بكر الكاف طبيبًا هنديًا إلى تريم، وخصص للطبيب بناءً ضخمًا من الطين ليكون المستشفى، والصيدلية، والعيادة، وبداية غرفة العمليات، وسكنه، كما يوجد من أسرة آل الكاف طبيب كان يعمل مساعدًا لطبيب أسنان مصري عمل في تريم عدة شهور خصصت له غرفة وبها معدات حديثة، وفيها يمارس طب الأسنان"[٦].

نستنتج من ذلك أن المؤسسات الصحية في حضرموت تكاد تكون معدومة،

---

(١) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٢٨.
(٢) فتاة الجزيرة. العدد (٥٢)، السنة الأولى، ٢٩ ديسمبر ١٩٤٠م. ص ٥.
(٣) فتاة الجزيرة. العدد (١٧١)، السنة الرابعة، ١٦ مايو ١٩٤٣م. ص ٧.
(٤) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٥٤.
(٥) فتاة الجزيرة. العدد (٢١٣)، السنة الخامسة، ١٩ مارس ١٩٤٤م. ص ٧.
(٦) D. Van Der Mulen and Von wissman. OP. cit 5.

والجهود التي بذلت لانتشال الأوضاع الصحية لا تتعدى كونها محاولات فردية، أو حكومية لا ترتقي إلى عملية استراتيجية لتطوير الوضع الصحي فوقع معظم السكان فريسة سهلة للمرض، وساعد على ذلك أيضًا التدهور الاقتصادي، والتخلف الاجتماعي.

الأمراض المنتشرة:

انتشرت في حضرموت عدد من الأمراض التي تعرف بالأمراض الاستوائية الوبائية مثل مرض الملاريا، والتيفويد والسل[١]. وإذا نظرنا إلى توزيع الأمراض وأماكن تمركزها في حضرموت فإننا لا نجد فرقًا رئيسًا بين انتشارها في إحدى المناطق عن الأخرى بالإضافة إلى أنه لا توجد الإحصائيات والدراسات العلمية الدقيقة التي يمكن أن توضح لنا معدل الإصابة ببعض الأمراض من منطقة إلى أخرى وما هي الأسباب لذلك، إلا أنه يمكن القول إن معدل الإصابة ببعض الأمراض يزيد في مناطق محددة، ففي حجر نجد حمى الملاريا منتشرة وذلك لوجود المستنقعات، الأمر الذي بعث في السكان الخمول عن القيام باستغلال أراضيهم الزراعية[٢]، كما يلاحظ انتشار أمراض الصدر المعدية (السل) في المناطق الشرقية من حضرموت، وينتشر مرض البلهارسيا في داخل حضرموت أكثر من ساحلها وذلك لاعتمادهم على الشرب من المياه الراكدة التي تساعد على إيجاد وسط مناسب لنمو الجراثيم[٣]. وهناك ارتفاع لمستوى الإصابة بمرض الجذام بين سكان مناطق دوعن، ولا يعرف تفسير علمي لذلك.

وقد ساعد على انتشار الأمراض عمومًا تخلف الوعي الصحي، وعدم

---

(١) سالم عبدالله باصريح. الخدمات الاجتماعية في محافظة حضرموت (الصحة - والتعليم)، بحث مقدم للندوة العلمية. بعنوان: التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت، المرجع السابق، ص٧.

(٢) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٦٢.

(٣) سالم عبدالله باصريح، المرجع السابق. ص ٧.

وجود التغذية المناسبة، وتخلف طرق معيشة الناس، وانعدام المؤسسات الخاصة بالعلاج، والوقاية، والنظافة.

أساليب العلاج:

خلقت الأمراض المنتشرة والوعي المتدني وانعدام الخدمات الصحية الحديثة وضعًا خاصًا بالمجتمع الحضرمي، كانت من نتائجه محاولة بحث الفرد والجماعة عن وسائل دفاعية ضد المرض تتلاءم ومستوى وعيه، وإمكاناته فلجأ إلى العلاج التقليدي الذي يرتكز على أساليب العلاج بالأعشاب، الكي، والحجامة، والأسلوب التقليدي الغيبي.

العلاج بالأعشاب: هو الأسلوب الذي يقوم عن طريق تفسير المرض بأنه نتيجة خلل عضوي، ويعتمد هذا النوع من العلاج على الخبرة والعقل.

وكان التطبب يتم بوساطة الأعشاب المحلية ومن أشهرها: شجرة الحرمل التي تستعمل غالبًا لألم الركبة، وشجرة القطب بعد غليها بالماء تستخدم لعلاج الرواسب، شجرة الشمار تستخدم لعلاج انتفاخ البطن، والصبر الذي يستعمل لكثير من الأمراض كالبلغم والبثور، وهناك الكثير من هذه الأعشاب الطبية[١].

وبالكي، والحجامة: كانت تعالج الكثير من الأمراض منها آلام المفاصل، والرأس، والفالج (الشلل)، وعسر الهضم (الحالب)، وعملية الكي عبارة عن وضع قضيب معدني في النار حتى يحمى جيدًا ثم يوضع في المكان المناسب الذي يحدده المعالج (الكاوي)، وقد تحدث آثار سيئة من هذه العملية فالشخص المعالج ربما تنقصه الخبرة أو قد لا يحدد بالدقة موضع الكي المناسب[٢]. والاحتجام عبارة عن تخديش لبعض أجزاء الجسم بحيث ينزف الدم وغالبًا ما يكون ذلك في الرأس أو الظهر أو الرجل، وحسب الاعتقاد السائد آنذاك يعد

(١) عبدالقادر محمد الصبان. عادات وتقاليد بالأحقاف. ص ١٦٨، ولمزيد من المعلومات انظر ندوة الموروث الشعبي في حضرموت المنعقدة بغيل باوزير في ٢٨/ ٢/ ١٩٩٨م.

(٢) لازالت تستخدم الطرق التقليدية في العلاج حتى الآن ولكن في حدود ضيقة.

الدم النازف فاسدًا أو زائدًا. ويعالجون بالحجامة أمراض السمنة، وقصر النظر وطوله، وقلة النشاط.

وأما الكسور فيتم تجبيرها بوساطة العصي التي ترص بصورة محددة، وهذه العملية تقوم بها أسر معينة تتوارثها وبعضها أجاد فيها، وكانت تعد الوسيلة الوحيدة لجبر الكسور.

وتستخدم الدهانات والكمودات للعلاج خاصةً لأمراض الريح أو(الهبة) كما تعرف محليًا وغالبًا ما يكون دهان الريح مكونًا من السليط، والقرنفل، والبن، وتغلى هذه في النار ثم يطلي بها المريض جسمه[١].

من أساليب العلاج الأخرى **الأسلوب الغيبي** الذي يعتمد في تفسير المرض على القوى الغيبية (الجن والشياطين)، وقد ساعد الجهل، وتدني الوعي على استمرار وجود أساليب العلاج الغيبي حتى الآن، ويقوم على أساس إعطاء المريض بعض الحروز، والتمائم، والتعويذات، وهي عبارة عن نصائح شفهية، أو مكتوبة، أو أدعية معينة يضعها المريض في مكان معين من جسمه يحدده المعالج، وتستعمل كوسيلة للعلاج، والوقاية، ولهذا النوع الكثير من الوصفات العلاجية الغريبة التي تخلف قناعة لدى المريض تؤدي أحيانًا إلى شفائه من المرض، ويمارس هذه العملية عدد من الدجالين للحصول على المكاسب المادية.

❁❁❁❁❁

(١) عبدالقادر محمد الصبان. عادات وتقاليد بالأحقاف. ص ١٦٨.

ثانيًا: الحركة الثقافية والتعليمية

كان الجهل سائدًا في اليمن ولم تكن هناك ثقافة أو تطور ثقافي أو انفتاح على ثقافة الخارج. ففي شمال اليمن لا توجد مدارس، ولا وسائل إعلامية، ولا صحف ثقافية، وكان التضليل الفكري يتمثل في تأليه الإمام وتقديسه، وأشيع عنه السحر، والأساطير، وتعمد في تجهيل الناس.

وكانت مناطق جنوب اليمن هي الأخرى في حالة سيئة إذ قامت السلطات الاستعمارية بتكريس التخلف فيها لتتمكن، وبقليل من الخسائر من فرض نفوذهاوسيطرتها وربط شئونها بالعجلة الاستعمارية[١]، ولكن بالمقارنة بين شمال اليمن وجنوبه نجد أن الجنوب اليمني مثل حالةً أفضل بعض الشيء خاصة مستعمرة عدن.

وظلت حضرموت عبر فترات طويلة من التاريخ تعاني من الجهل والخرافات، وانعزلت مثلها مثل بقية مناطق اليمن عن الحركات الثقافية في الوطن العربي. وحتى بعد ظهور بوادر البعث العربي بعد الحرب العالمية الأولى لم تتأثر بها، فقد كانت للأفكار الرجعية السائدة أكبر الأثر في العزلة الثقافية التي عانت منها[٢] وفي ثلاثينيات هذا القرن وصف صلاح البكري حالة حضرموت الثقافية بالآتي: " الجهالة ضاربة أطنابها في طول البلاد وعرضها والأمية منتشرة انتشارًا عظيمًا "[٣] ولكن وسط هذا الظلام الموحش كان هناك حراك ثقافي بسيط يمكن أن نقول إنه مر من حيث نموه بمرحلتين:

---

(١) تأليف مجموعة من المؤلفين السوفيت. تاريخ اليمن المعاصر. (١٩١٧-١٩٨٢م). ترجمة: محمد علي البحر. المطبعة الفنية، القاهرة، ١٩٩١م. ص ٧١.

(٢) سعيد عوض باوزير. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٦١م. ص ١٦٤.

(٣) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٦٥.

١- المرحلة الأولى (١٩١٨-١٩٣٥م):

بدأت الحركة الثقافية في هذه المرحلة تسير ببطء وعلى استحياء. وقد مثلت هذه الفترة مرحلة الجمود، والتمزق السياسي، والتخلف الاجتماعي، وعكست وضعًا ثقافيًا، وتعليميًا، مهتريًا، ومشتتًا، ومتخلفًا[١]، بحيث يصعب فيها الرصد الدقيق للمؤسسات الثقافية، ومع ذلك يمكن أن نلاحظ فيها البدايات الجنينية للحركة الثقافية التي تأثرت بالعوامل الخارجية وخاصةً الصراع العلوي الإرشادي، نسبة لجمعية الإصلاح والإرشاد التي أسسها المهاجرون في إندونيسيا عام **١٩١٢**م الذين رفضوا الامتيازات الأدبية للعلويين وطالبوا بالإصلاح الاجتماعي، وكان العلويون يدافعون عن امتيازاتهم الأدبية القديمة[٢]، وقد تحول الصراع إلى جدل فكري أثرى الحياة الثقافية للحضارم في إندونيسيا، وكان من نتائجه انتقال هذا الصراع والجدل إلى حضرموت - ولو بحدود ضيقة - وأعطى هزة كبيرة في العقل الجنيني الحضرمي، وبدأ بعض الناس يشكك في الثقافة المحلية المفروضة. كما ازداد عدد المؤسسات التعليمية الإصلاحية، ومن أقدم هذه الجمعيات:-

أ) جمعية الحق

تأسست هذه الجمعية في تريم عام **١٣٣٥**هـ / **١٩١٦**م، وكان أول رئيس لها هو السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف، وتشكلت لجنة الجمعية كما جاء في قانونها من رئيس وتسعة أعضاء يعينون بالانتخاب العام، وللجنة أن تنتخب من بين أفرادها ثلاثة أحدهم للوكالة عن رئاسة الجمعية، والثاني لأمانة المال، والثالث للكتابة[٣].

---

(١) كرامة مبارك سليمان. التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن. الجزء الأول، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٤م. ص ٨٨.

(٢) علي أحمد باكثير. همام أو في بلاد الأحقاف. منشورات مؤسسة الصبان، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٥م ص ١٤.

(٣) انظر قانون جمعية الحق المادة الخامسة.

أهداف الجمعية:

١- إصلاح أهل تريم اجتماعيًا.

٢- توفير العدل لكل الأطراف وصيانة الحق لجميع الفئات.

٣- التمسك الشديد بأوامر الشريعة الإسلامية.

٤- مساعدة الفقراء والمضطهدين والمظلومين.

٥- قيام مواصلات سهلة والاستعانة بوسائل عامة للنقل من مكان إلى آخر[١].

يرى البعض أن أسباب قيام هذه الجمعية يعود إلى الازدهار الاقتصادي الذي عرفته حضرموت في هذه الفترة[٢]، ويرى الدارس أن حضرموت لم تشهد الازدهار الاقتصادي في هذه الفترة بل ازدهار أسر معينة، وهذا ليس مقياسًا لازدهار المنطقة كلها، والسبب الحقيقي لقيام هذه الجمعية هو عدم قدرة السلطنة الكثيرية على الوفاء بالالتزامات العسكرية تجاه السلطنة وفرض سيطرتها على المناطق التابعة لها[٣]، وفعلاً أقنعت الجمعية السلطان الكثيري محسن بن غالب، على التخلي عن شئون تريم السياسية والاقتصادية والمدنية[٤]، وفقًا للشروط التالية:-

١- تقوم الجمعية بنفقات الجنود، وسائر متطلباتهم التي على السلطان الكثيري.

٢- تدفع الجمعية راتبًا للسلطان الكثيري نصفه على عائلة الكاف، ونصفه على المواطنين.

---

(١) جاكوب. المرجع السابق. ص ٤٠٨.

(٢) جعفر محمد السقاف. من تاريخ الحركات الشعبية الإصلاحية (الندوة التاريخية عن حضرموت) ص ٢٦.

(٣) سلطان ناجي. التاريخ العسكري لليمن. ص ١٦٨.

(٤) جعفر محمد السقاف، المرجع السابق. ص ٢٥.

٣- ترجع شئون البلدة جميعًا إلى الجمعية.

٤- ليس للسلطان تدخل في شئون البلد الاقتصادية، أو غيرها مادامت الجمعية قائمة بتعهداتها.

٥- توزيع الضرائب، وأخذ المعشرات من اختصاص الجمعية.(١).

وهكذا أصبحت شئون مدينة تريم في يد الجمعية، فهي التي ترسم الضرائب، والعوائد، والرسوم على الأهالي، وانفردت بالسلطة المطلقة(٢).

وقد سجلت الجمعية في تاريخها نوعًا من الحكم الشعبي، وقد نظر إليها بعض الساسة البريطانيين بعين القلق، بل لم يخف جاكوب فرحته ونزعته الاستعمارية عند زوال هذه الجمعية حيث قال: "ولعله من حسن الحظ وسعد الطالع زوال تلك الجمعية فجأة إذ كان سبب تلاشيها واضمحلالها بسبب اختلافات داخلية "(٣).

ب) جمعية الأخوة والمعاونة:

أسسها سنة **١٣٤٨**هـ/ **١٩٢٩**م جماعة من طلبة مدرسة جمعية الحق التريمية وفي سنة **١٣٥٠**هـ/ **١٩٣١**م أعلنت رسميًا، ونشر قانونها(٤).

أهداف الجمعية وأنشطتها:

١- بث روح التعاون بين أفراد الأمة، ورفض التحزبات، وكل ما يؤدي إلى الشقاق.

---

(١) جعفر محمد السقاف، المرجع السابق. ص ٢٧.
(٢) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي، الجزء الثاني. ص ٥٤.
(٣) جاكوب. المرجع السابق. ص ٤٠٩.
ورأى منصب آل العيدروس الذي كان له نفوذ وحظوة عند آل كثير أن قيام هذه الجمعية ليس في صالحه وأنها ستسحب البساط من تحت أقدامه لصالح أسرة آل الكاف، فبدأ يثير المشاكل ضد هذه الجمعية، للمزيد انظر، صلاح البكري. المرجع السابق. ص ٥٥.
(٤) سعيد عوض باوزير. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. ص ١٨٧.

٢- بذل الجهود في تربية النشء التربية الكاملة، وتسليحهم بالعلوم والمعارف.

٣- نشر التعاليم الإسلامية ببعث الدعاة إلى البلدان، والبوادي للدعوة الإسلامية، وإقامة ما يستطاع من شعائر الإسلام كبناء المساجد، وترميمها، وتأسيس المعاهد الدينية، والثقافية.

٤- التفكير في إنشاء مؤسسات اقتصادية يقوم بأعبائها الصالحون للأعمال من رجال الجمعية وغيرهم، وإيجاد وظائف لتوظيف العاطلين.

٥- السعي في إصدار صحف سائرة تكون لسان حال الجمعية، ومنبرًا من منابر دعايتها القائمة على نشر الهداية الإسلامية، وتوسيع مدى الثقافة بحضرموت(١).

ويذكر رئيس هذه الجمعية محمد أحمد الشاطري، بأنها لاقت عند تأسيسها معارضة من شيوخ، وأعيان جامدين، ومن السلطات الاستعمارية، ولكنها تغلبت على الصعوبات، ومشت قدمًا، ثم اصطدمت مرارًا بظروف قاسية مادية، وأدبية، أرغمتها على اختصار أعمالها، والاحتفاظ بمدرستها(٢).

وقد اعتمدت الجمعية في ميزانيتها على تبرعات المهاجرين، وأسرة آل الكاف، وعلى إعانة يسيرة من الحكومة الكثيرية، وهذه الهبات غير ثابتة، ومعرضة للانقطاع(٣).

تركز نشاط الجمعية على الجانب التعليمي، والاجتماعي، حيث أنشأت الأندية الثقافية، والرياضية، وأصدرت مجلة الإخاء الناطقة باسمها، وأرسلت البعثات الطلابية إلى بعض البلدان العربية(٤). وقد وضعت الجمعية نظامًا خاصًا

(١) بيان جمعية الأخوة والمعاونة سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م. ص ١٩.
(٢) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٤٢٤.
(٣) بيان جمعية الأخوة والمعاونة. المرجع السابق. ص ١٢.
(٤) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ١١٨.

للبعثات من مواده: -

١- أن يلتزم الطالب بعد تخرجه بالعمل في وطنه.

٢- تقدم الجمعية للطلاب الصرفيات اللازمة للترحيل وغيره[١].

كما امتد نشاط الجمعية إلى الميدان السياسي الذي كان له صدى في حضرموت خاصةً حول الوحدة الحضرمية. ومن أبرز أنشطتها السياسية تأسيس لجنة وحدة حضرموت، ومحرك هذه اللجنة علي عقيل بن يحيى، وشيخان عبدالله الحبشي، وقد اتخذت من تريم مركزًا لها، كما وضعت اللجنة صيغة ميثاق للوحدة الحضرمية، وتحركت نحو البادية، ومختلف مدن وادي حضرموت لشرح أفكارها التي تنادي بوحدة المرافق، والمصالح بين السلطنتين، وقيام مجلس تشريعي يتولى الإشراف على شئون حضرموت مع بقاء السلطانين في مركزيهما[٢]، وعلى الرغم من فشل اللجنة في مساعيها إلا أن أهميتها تكمن في أنها تمثل مرحلة من مراحل نمو الوعي الوطني.

كما تأسس في تريم عام **١٣٥٠**هـ / **١٩٣١**م نادي الشبيبة المتحدة الذي التحق به عدد من أدباء تريم، ومن أبرزهم المؤرخ محمد بن هاشم[٣].

وفي هذه الأثناء تأسس في شبام نادي الفلاح[٤].

وفي الشحر ظهر عدد من الأندية الثقافية، والاجتماعية، ومن أبرزها نادي الإصلاح الوطني أسسه عبدالقادر أحمد بافقيه، وحدد رئيس هذا النادي أهدافه بالآتي: -

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) بيان جمعية الأخوة والمعاونة. المرجع السابق. ص ١٩.
(٢) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ١١٨.
(٣) صحيفة التهذيب. العدد العاشر، السنة الأولى، ١٠ جماد الأول ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م، الطبعة السلفية، مصر. ص ٢١٣.
(٤) أحمد عبدالقادر الملاحي، المذكرة التاريخية. مخطوط. ص ٨٠.

٢- إصلاح ذات البين، وحل المشاكل بالتعاون مع نائب السلطان في الشحر[١].

ومن الأندية الأخرى في الشحر:-

- نادي كوكب الصباح الرياضي.
- نادي الشباب الأدبي.
- نادي الموظفين.
- نادي الشباب الرياضي الثقافي[٢].

وفي المكلا ظهرت عدد من الأندية والجمعيات الثقافية من أبرزها:-

جمعية الثقافة:

من أهدافها نشر المعارف، وتنوير العقول، وتدريس اللغة الإنجليزية، وعلوم اللغة العربية، والأمور الدينية، ومن أعضائها علوي الحبشي، وعبدالله باعشن، وعمر مثنى، وعبدالله باعنقود[٣]. وكان لناظر المعارف الشيخ القدال إسهامات مشهودة في تحريك الواقع الثقافي في المكلا كأن يدعو الناس إلى مناظرة في المكتبة السلطانية في موضوع يهم الناس كالزواج الباكر والمتأخر، ويفسح للحضور الفرصة للمناقشة في هذه الحوارات. كما أسس الشيخ القدال عام **١٩٤٠**م غرفة المعلمين وهي ناد ثقافي، واجتماعي، لرفع قدرات المعلمين، وأصبح للغرفة شأن في الحياة الثقافية في حضرموت[٤].

وفي مدينة الحامي التابعة للواء الشحر افتتح ناد أطلق عليه نادي الشباب

(١) عبدالخالق عبدالله البطاطي. إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت. ص٧٧.
(٢) أحمد عبدالقادر الملاحي. المرجع السابق. ص ٨٠.
(٣) فتاة الجزيرة. العدد (١٢٥)، السنة الثالثة، ١٤ مايو ١٩٤٢. ص ٥.
(٤) محمد سعيد القدال. الشيخ القدال باشا «معلم سوداني في حضرموت ومضات من سيرته (١٩٠٣-١٩٧٥م)». دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٧م. ص ٧٧.

تحت رئاسة بدر بن أحمد الكسادي، ويعد أول ناد ثقافي في الحامي[١].

وأمام ثراء الواقع الثقافي وازدهار الحركة التعليمية، كما سوف نرى بدأت تظهر بعض المشاريع الثقافية الطموحة مثل مشروع مكافحة الأمية الذي تبناه عدد من شباب المكلا وهم الأساتذة: عمر باحشوان، وحسين البار، ومحمد بركات، الذين وضعوا كتيبًا صغيرًا مرشدًا لتعليم الأميين، وجعلوا لغة التدريس فيه اللهجة الدارجة ليسهل تحقيق أغراض المشروع، وقام بالتدريس عدد من المتطوعين، ونال المشروع دعم ونصائح ناظر المعارف القدال[٢].

ج) المؤسسات التعليمية الدينية:

١- الكتاتيب:

وهي مؤسسة تعليمية في مستواها الأدنى أو الابتدائي ارتبطت بالمجتمع الإسلامي. وكانت منتشرة في مختلف مناطق اليمن، إلا أنها ليست كلها في مستوى واحد، كما أنها تكثر في مناطق وتندر وتنعدم في مناطق أخرى، وذلك حسب المستوى الحضاري لهذه المناطق، ويطلق في حضرموت على الكتّاب اسم (العلمة) أو (المعلامة) ومن أشهرها في تريم علمة بارشيد، وفي المكلا علمة باجليده[٣]، وغالبًا ما تكون الكتاتيب في أماكن متواضعة، وغير نظيفة، ووظيفتها كما يقول محمد بن هاشم: "إخراج من يؤمها من الأمية إلى طرفها"[٤].

٢- الأربطة:

أطلق الرباط على المؤسسة التعليمية التي يقصدها طالب العلم ويرابط فيها

(١) فتاة الجزيرة. العدد (١٣٣)، السنة الثالثة، ٩ أغسطس ١٩٤٢م. ص ٦.
(٢) فتاة الجزيرة. العدد (٢٣٤)، السنة الخامسة، ١٣ أغسطس ١٩٤٤م. ص ٢.
(٣) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ٥٠.
(٤) محمد بن هاشم. رحلة إلى الثغرين. ص ٥٣.

مثابرًا ومجدًا وملازمًا لحلقات الدرس فيها، والرباط مؤسسة تعليمية خاصة بتعليم الكبار تعليمًا عاليًا في علوم العقيدة، والشريعة الإسلامية، وعلوم اللغة العربية[١]، وأقدم رباط تأسس في حضرموت هو رباط العلامة علي بن محمد الحبشي بسيئون في بداية القرن الرابع عشر الهجري، ويليه في التأسيس رباط تريم الشهير وذلك سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، ثم رباط غيل باوزير ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م ثم رباط قيدون، وعينات[٢]، ورباط الشحر تأسس سنة ١٣٥٨هـ، وذكر السلطان صالح القعيطي أن هذه الأربطة كان يديرها سادة ومشايخ حضرموت بالمنهج القديم الجامد[٣].

د) المدارس الأهلية:

في هذه المرحلة انتعشت التجارة في عدن وجزر الهند الشرقية، وزاد ثراء بعض الأسر الحضرمية، وأفرز هذا المناخ اتجاهًا نحو الإصلاح، ومن جوانب هذا الإصلاح ظهور المدارس الأهلية التي بدأت تفتح أبوابها لجميع المواطنين[٤]، ومن أشهر المدارس الأهلية في ساحل حضرموت:-

مدرسة الفلاح بالمكلا:

أسسها حسن الدباغ بعد قدومه من الحجاز في عهد السلطان عمر بن عوض القعيطي، وذلك في بيت يملكه آل المحضار، وتولى حسين الدباغ إدارة المدرسة، وتنظيم الدراسة فيها على أساس مرحلة ابتدائية مدتها أربع سنوات، بالإضافة إلى صفوف عليا تولى التدريس فيها السيد صبحي المعاز كما أدخلت فيها مادة التربية الكشفية[٥].

---

(١) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ٥٢.
(٢) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٤٢٢.
(٣) السلطان صالح بن غالب القعيطي. المرجع السابق. ص ٩١.
(٤) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ٦٠.
(٥) المرجع نفسه. ص ٦٢.

مدرسة الحق السلفية بالمكلا:

أسسها المنشقون المحافظون من مدرسة الفلاح[١].

معهد تعليم اللغة الإنجليزية:

افتتح في العقد الثالث من القرن الحالي على يد معلم هندي يقال له إبراهيم، وهو أول معهد تدرس فيه اللغة الإنجليزية[٢].

أما أشهر المدارس الأهلية في داخل حضرموت:-

مدرسة جمعية الحق بتريم:

تأسست سنة **١٣٣٤**هـ/ **١٩١٥**م واستقدم محمد بن هاشم من الخارج ليتولى إدارة التعليم فيها وذلك في عام **١٩٢٧**م، وقد توقفت هذه المدرسة بعد سبعة عشر عامًا من تأسيسها لأسباب أكثرها اقتصادية[٣].

مدرسة الأخوة بتريم:

أنشأتها جمعية الأخوة والمعاونة عام **١٣٥٢**هـ/ **١٩٣٢**م، كان يشرف على إدارتها شباب مثقفون عملوا على تنظيمها، وتجديد أهدافها، ووضع مقرراتها حتى كان الطالب الملتحق بها ينهي دراسة ابتدائية كاملة تؤهله بالالتحاق بالقسم الوسط التي تشرف عليه الجمعية نفسها[٤]. وتعتبر هذه المدرسة أول مدرسة أهلية أسست على الأنظمة الحديثة بحيث أصبح المتخرج فيها يقبل في مدارس البلاد العربية الأخرى[٥]، وكانت أسرة الكاف المشهورة بثروتها في المهجر هي المساهم الأكبر في تمويل مدرستي الحق والأخوة[٦].

---

(١) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٤٢٥.
(٢) محمد أحمد الشاطري. المرجع السابق. ص ٤٢٥.
(٣) المرجع نفسه. ص ٤٢٣.
(٤) سعيد عوض باوزير، الفكر والثقافة، ص ١٦٧.
(٥) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٤٢٣.
(٦) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ٦٥.

مدرسة النهضة العلمية بسيئون:

تم افتتاحها عام **١٣٣٩**هـ/ **١٩٢٠**م وتركزت الدراسة فيها على علوم اللغة العربية، وعلوم الدين في مقررات متدرجة في مستواها حسب سنوات الدراسة في مراحلها الثلاث:

التحضيري مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

الابتدائي مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

العلمي مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات[١].

هـ) المدارس الحكومية:

المدرسة الخيرية السلطانية بالمكلا:

أسسها السلطان عمر بن عوض القعيطي أساسًا لأولاد الحاشية، ثم تحولت إلى مدرسة حكومية للجميع[٢].

مدرسة مكارم الأخلاق:

أسسها السلطان غالب بن عوض القعيطي في الشحر سنة **١٣٣٧**هـ/ **١٩١٨**م، ويعود الفضل في تنظيمها، والإشراف عليها إلى السيد علوي المشهور. بدأت مدرسة مكارم الأخلاق كمدرسة أولية، وبعد انتقالها إلى الباغ تطورت هذه المدرسة في سنواتها العليا إلى المستوى الثانوي، حيث تدرس فيها اللغة العربية، والفقه، والتوحيد، بالإضافة إلى مواد التاريخ، والجغرافيا، والصحة، والطبيعة والحساب. وحينما بدأ تحديث التعليم الحكومي في السلطنة القعيطية في بداية الأربعينيات تحول اسم هذه المدرسة إلى اسم المدرسة الشرقية الابتدائية[٣].

---

(١) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ٦٥.

(٢) المرجع نفسه. ص ٧٤.

(٣) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ٧٣، ولمزيد من المعلومات عن هذه المدرسة انظر: كتاب مدرسة مكارم الأخلاق ثمانون عامًا من العطاء.

مدرسة الهدى بالقطن:

أسسها علي بن صلاح القعيطي سنة **١٩٢٠**م وهي مدرسة أولية للبنين أُلحق بها قسم للبنات[١].

أما التعليم في البوادي فليس له أثر يذكر والناس كلهم أميّون[٢]، وعلى العموم فإن هذه المدارس، التي أشرنا إليها كانت تعاني أزمات شديدة، وتواجه مشاكل، وصعوبات مالية، وفنية، فلا موارد مالية كافيه، ولا مناهج موضوعة، ولاغايات، وأهداف محدودة معروفه[٣].

٢- المرحلة الثانية (١٩٣٥ - ١٩٤٥م):

يمكن القول إن النهضة الثقافية والتعليمية التي ظهرت بحضرموت ارتبطت بشخصيتين كان لهما دورهما الكبير في تاريخ حضرموت الحديث، وهما السلطان صالح بن غالب القعيطي، والشيخ القدال سعيد القدال.

تولى السلطان صالح القعيطي الحكم عام **١٩٣٥**م، ومثل تعيينه نقلة نوعية للسلطنة القعيطية، ففي عهده وجدت الكثير من المؤسسات والدوائر الحكومية ويعد بحق مؤسس السلطنة القعيطية الحديثة[٤]. وقد ركز السلطان صالح جهوده في الجوانب التعليمية، ونلحظ ذلك من خلال خطبة التولية التي قال فيها: "وأريد أن ألفت أنظاركم إلى أمر مهم ألا وهو مسألة التعليم فلا تنسوا أن رقي البلاد يتوقف على نشر المعارف في جميع نواحي الحياة، لأن التقدم المادي، والخلقي مستحيلان ما دام أولادكم محرومين من العلم، والتهذيب"[٥].

---

(١) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ٧٤.
(٢) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١١١.
(٣) سعيد عوض باوزير. الفكر والثقافة. ص ١٦٧.
(٤) سعيد عوض باوزير. صفحات من التاريخ الحضرمي. ص ٢٥١.
(٥) انظر نص خطبة توليه العرش في: صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي، الجزء الثاني، ص ٨١-٨٢-٨٣.

ويعد الشيخ القدال الباعث والمحرك للتعليم الحكومي الحديث في عموم حضرموت. جاء القدال من السودان إلى حضرموت عام **١٩٣٩م**[١] ومكث فيها حتى عام **١٩٥٧م** عندما بلغ سن التقاعد، قاد القدال النظام التعليمي في الفترة من عام (**١٩٣٩-١٩٥٠م**) وحقق في تلك الفترة إنجازات تعليمية مهمة[٢].

أ) المدارس الأهلية:

وقبل أن نتتبع تطور التعليم الحكومي في هذه المرحلة يمكن أن نلقي نظرة على المدارس الأهلية التي ظهرت فيها والتي منها:-

المدرسة الهاشمية الأهلية بالمكلا:

تأسست عام **١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م** أسسها آل شيخان وهي مدرسة ابتدائية[٣].

المدرسة الوطنية بالمكلا:

أسسها أبوبكر بن عوض باحاتم تحت اسم الأم الشفيقة للوطن المدرسة الوطنية[٤]. لقد كانت بعض مدارس حضرموت الساحل الأهلية على جانب من التنظيم، وحسن الإدارة، فخرجت طلابًا بالأساس الذي هيأته لهم، ومجهوداتهم الشخصية استطاعوا شق طريقهم في الحياة، وبرزوا كعناصر مثقفة، ورؤس مفكرة في المجتمع منهم على سبيل المثال: عبدالله سالم باعشن، عبدالرحمن الجيلاني، محمد عبدالقادر بامطرف، ومحمد عوض باوزير[٥].

لقد مر التعليم الأهلي في أثناء الحرب العالمية الثانية بأزمات حادة وذلك

---

(١) محمد عبدالقادر بافقيه. طرق التدريس والكتاب المدرسي. مجلة المنير، العدد الأول، إبريل - مايو - يونيو، ١٩٩٤م. ص ١٩.
(٢) محمد سعيد القدال. المرجع السابق. ص ٥١.
(٣) كرامة مبارك سليمان. ص ٦٣.
(٤) المرجع نفسه. ص٦٣.
(٥) سعيد عوض باوزير. الفكر والثقافة. ص ١٦٧.

لتوقف المساعدات التي يقدمها أثرياء الحضارم بالمهجر[١]، وفتح ذلك المجال لسيادة المدارس الحكومية في مختلف مناطق حضرموت.

ب) تطور التعليم الحكومي في حضرموت:

تبدأ قصة توسيع وتحديث التعليم الحكومي في حضرموت عندما عقد الإنجليز معاهدة الاستشارة مع سلطنتي حضرموت، حيث أرادوا تحديث التعليم من ضمن ما سعوا لإدخاله من أساليب ومؤسسات حديثة، فقام المستر (اتمبرو) مدير معارف عدن بزيارة إلى حضرموت، وكان يعتقد أن هناك تشابهًا بين المحميات المجاورة، ومستعمرة عدن، ولكنه وجد أن ظروف حضرموت قاسية، ولا تساعد على نشر التعليم، فطلب المستشار البريطاني بحضرموت (انجرامس) من والي عدن إرسال خبير تربوي يضع خطة لتطوير التعليم في حضرموت لمدة عشر سنوات، فاتصل الوالي بحكومة السودان التي أرسلت لهم المستر (قريفس) عميد بخت الرضا، وجاء قريفس إلى حضرموت عام **١٩٣٨م** ووضع تقريرًا عن واقع التعليم في حضرموت[٢] ولا شك أن أهم نقاط التقرير هي اختيار قريفس للشيخ القدال لقيادة التعليم الحكومي الحديث، وحول اختياره للقدال كتب قريفس يقول: " لقد حصلت كما أعتقد على الرجل المناسب لكم، وفي الحقيقة فإن الرجل في مخيلتي منذ السنة الأخيرة، إن اسمه هو الشيخ القدال سعيد القدال عمره (**٣٨**) عامًا مدير مدرسة ابتدائية تعتمد على الهبات، وهو ذو شخصية قوية وذكي، ومدير ناجح يمتلك مقدرة غير عادية "[٣].

بدأ الشيخ القدال يتلمس طريقه ببطء في المجتمع الحضرمي، وقد نسج علاقات حسنة مع الشخصيات البارزة في المجتمع، كما حاول إن يتعرف على طبيعة المنطقة فقام بزيارات لمناطق مختلفة من حضرموت، وكانت أول خطوة

(١) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٤٧٢.
(٢) محمد سعيد القدال. المرجع السابق. ص٥٣.
(٣) أحمد عوض باوزير. شهداء القصر. دار الهمداني، عدن. ص ٥٠.

يقوم بها هي إقناع السلطان صالح بمضاعفة مرتبات المعلمين في أول ميزانية يضعها وبهذه الخطوة تمكن من رفع الروح المعنوية لدى المعلمين[١].

كما شكل القدال لجنة من الشخصيات البارزة وأطلق عليها اسم لجنة المعارف العليا، وجعل مهمتها النظر في مسائل التعليم العليا، وتذليل العقبات التي تعترضه، وبذل النصح لناظر المعارف، وبهذه الروح الجماعية في العمل استطاع القدال أن يخطو الخطوات العملية، والصحيحة، رغم معارضة المحافظين التي تظهر هنا وهناك، ولكنه حاول عمليًا إثبات صحة المنهج الذي يسير عليه[٢].

وقد ساعده على تحقيق الكثير من الإنجازات فريق العمل المقتدر السوداني والحضرمي أمثال الأساتذة عوض عثمان، حسين خوجلي، سعيد أيوب القدال وغيرهم.. ومن الحضارم عبدالله الناخبي، عبدالله باعنقود، عمر باحشوان، سعيد بن غوث، وعثمان العمودي[٣].

وكانت بداية حركة الإصلاح التعليمي التي ابتدأها القدال تمثلت في تدريب المعلمين الحضارمة على بعض طرق التدريس المتبعة في السوادن[٤].

كما بدأ الشيخ القدال منذ عام **١٩٤٠**م في تنظيم المدارس، وابتدأ بالمكلا وكانت بها مجموعة من المدارس مجمعة في حصن الشيبه (المقر الحالي للمالية والضرائب) فكون منها ثلاثة فصول للمرحلة الابتدائية، وأخذ الطلاب المتميزين، وكون منهم الصف الأول للمرحلة المتوسطة، وكون من طلاب المدرسة الإنجليزية الصف الثاني، وسميت هذه المدرسة بالمدرسة الغربية، ثم فتحت بعدها المدرسة الشرقية للبنين في المكلا[٥].

---

(١) محمد سعيد القدال. المرجع السابق. ص ٥٧.
(٢) محمد عبدالقادر بافقيه. مجلة المنير. ص ٢٠.
(٣) محمد سعيد القدال. المرجع السابق. ص ٦٨.
(٤) محمد عبدالقادر بافقيه. مجلة المنير. ص ١٩.
(٥) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ١٤٠.

وفي عام **١٩٤٢**م عقد بالمكلا مؤتمر عام للمدرسين تحت رئاسة القدال طرحت فيه مسائل مهمة تتعلق برفع مستوى التعليم وتحسين سيره(١).

وبالرغم من سنوات الحرب العجاف التي عانت منها حضرموت بدأ التوسع في التعليم، وكان التركيز على التعليم الأولي، وقد استطاعت مصلحة المعارف الناشئة رغم الصعوبات أن تحقق تقدمًا محسوسًا(٢)، وذلك بفضل ناظر المعارف القدال(٣)، وفي أواخر عام **١٩٤١**م تم فتح المدرسة الوسطى للبنين في المكلا وأدخلت فيها بعض المواد الحديثة مثل العلوم، والجغرافيا، والفنون وكانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات، ولكن الأهم هو إدخال المنهج التعليمي الذي لا يقوم على التلقين(٤). ويتنافس للدراسة فيها خريجو المدارس الابتدائية، وفي سنة **١٩٤٤**م تطورت هذه المدرسة بانتقالها إلى غيل باوزير لتكون المدرسة الوحيدة في المحمية الشرقية وبها قسم داخلي(٥)، وكانت المدرسة الوسطى بالغيل مدرسة نموذجية امتزج فيها النشاط الذهني باليدوي(٦).

وبالنسبة لتعليم البنت فقد كان الحضارم قبل عهد السلطان صالح لايرون التعليم حقًا واجبًا للمرأة مثل الرجل بل يرون تعليمها القراءة، والكتابة أمرًا قبيحًا(٧)، وقد وجدت دعوات إيجابة مبكرة حول تعليم البنت في حضرموت وذلك لانتشالها من حالة التخلف والجمود وحول ذلك يقول الشاعر:

كيف السبيل إلى النهو ض وأمهات النشء عور

(١) فتاة الجزيرة. العدد (١٣٦)، السنة الثالثة، ٣٠ أغسطس ١٩٤٢م. ص١٠.
(٢) محمد عبدالقادر بافقيه. مجلة المنير. ص ٢٠.
(٣) فتاة الجزيرة العدد (٥٢)، السنة الأولى، ٢٩ ديسمبر ١٩٤٠م. ص ٥.
(٤) محمد سعيد القدال. المرجع السابق. ص ٧١.
(٥) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ١٤١.
(٦) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ١٩٤٩م. ص ٦٠.
(٧) أحمد عبدالقادر الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٠١.

أبـــدون تـــربـــيـــة الإنـــا ث تـفـيـد تـربـيـة الـذكـور
أيـــلـــدن أحـــيـــاء وهـــن مـن الـجـهـالـة فـي قـبـور[١]

وتعد ربيعة بنت راشد الجساسية العمرية أول متعلمة في ساحل حضرموت تنشر التعليم وذلك منذ عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م في كل من الشحر، وشحير، وغيل باوزير، وريدة عبدالودود، وقد جردت نفسها للتعليم مجانًا فتجلس العصر مع النساء، وفي الصباح تجلس مع البنات العذارى، وكانت تعلمهن القراءة، والكتابة، وتلاوة القرآن الكريم، وتعليم العقيدة، والخياطة، والتطريز، وتفصيل الثياب[٢].

أما تعليم البنت وفق الأنظمة الحكومية الحديثة فقد بدأ في المكلا بكتّاب، تطور في العام الدراسي (١٩٤١-١٩٤٢م) إلى مدرسة ابتدائية تحت إشراف الشيخ عبدالله الناخبي، وتولت زوجته وابنته التدريس فيها[٣]، وحول قصة التعليم الحديث للبنت في حضرموت كتب الشيخ عبدالله الناخبي يقول: " بدأت في تعليم كريمتي وزوجتي بنفس النظام الذي تسير عليه المدارس في ذلك الوقت وبكثير من العناية، ومساعدة المدرسين، وتشجيعهم، وصلت بهما إلى إكمال المقررات التي كانت مفروضة على مدارس البنين، وخوفًا من ضياع هذا الجهد جلبت عددًا من الفتيات اللاتي لنا بهن صلة القربى، أو الجوار، وكلفت كريمتي وزوجتي بتعليمهن، وكانت الفكرة مستنكرة ومكروهة من الرأي العام، وحوربت من الجامدين، ولكن استمرت، وبعد مضي خمس سنوات كان عدد الطالبات يربو على تسعين طالبةً وتشاء الأقدار أن يصل الشيخ القدال من السودان لوضع الأنظمة الملائمة للمدارس في حضرموت، وفجأة وقع نظره على إحدى الطالبات فسألها عن المدرسة التي تدرس فيها فأخبرته ولعله كان يفكر في فتح مدرسة للبنات فشاء الله أن يقوم بتشجيع هذه المدرسة، وفي إسداء المعونة لها

(١) التهذيب، العدد السادس. السنة الأولى، ١ محرم ١٣٥٠هـ. ص ١١٣.
(٢) أحمد عبدالقادر الملاحي. المرجع السابق. ص ١٩٢.
(٣) سعيد يسلم الرباكي. عرض لواقع التعليم في الدولة القعيطية. مطبوع بالاستنسل. ص٢٣.

شيئًا فشيئًا حتى تم إلحاقها بمدارس الحكومة "[١].

وحول تعليم البادية فإن أول من خص البادية بتعلم منفرد خاص هي إدارة المستشار والمعتمد البريطاني المقيم في الدولة القعيطية وذلك في عام **١٩٤٢م** حين أنشئت مدرسة ابتدائية باسم مدرسة أولاد البادية في المكلا، وقد بدأت بعشرين طالبًا تم اختيارهم من بين قبائل مختلفة، وقد سارت في دراستها على مناهج المدارس الحكومية نفسها، وتميزت عن غيرها من المدارس بأنها تقبل جميع الطلبة كداخليين، ويخضع هؤلاء الطلبة لحياة داخلية خاصة ذات طابع عسكري، بل لهم زي خاص هو زي جيش البادية التابع لإدارة المستشار[٢].

أما عن محتوى التعليم فقد تم إدخال المناهج السودانية في المدارس الابتدائية من العام الدراسي (**١٩٣٩-١٩٤٠م**) مع تكييف بعض الكتب الدراسية السودانية لتلائم البيئة المحلية مثلاً تم تحوير كتاب (سبل العيش في السودان) إلى كتاب (سبل كسب العيش في جنوب الجزيرة العربية)، وقد قسمت مراحل التعليم على النحو الآتي:

المرحلة الابتدائية مدة الدراسة فيها أربع سنوات.

المرحلة الوسطى مدة الدراسة فيها أربع سنوات.

المرحلة الثانوية مدة الدراسة فيها أربع سنوات.

أما التعليم الحكومي في السلطنة الكثيرية فقد اصطدم بصعوبات جمة أهمها قلة موارد السلطنة، ووجود طائفة من ذوي العقليات المتصلبة كانت تشكك في التعليم الحديث، فقد كان من المقرر أن تفتح المدرسة الوسطى في سيئون، ولكن المحافظين لم يتقبلوا هذه الفكرة بارتياح[٣].

---

(١) صحيفة الأخبار. العدد (١٣)، ٢٠ يناير ١٩٤٥م. ص ٨-٩.

(٢) سعيد يسلم الرباكي. المرجع السابق. ص ٢٥.

(٣) سعيد عوض باوزير. الفكر والثقافة. ص ١٩٣.

وكان الهيكل الإداري في السلطنة القعيطية يتكون من ناظر المعارف يخضع لسكرتير الدولة يساعده مسئول عن التعليم الأهلي، وتعليم البنت، ومدير المدرسة الوسطى، ومكتب تفتيش فني مقره غيل باوزير، ومهمته الإشراف الفني، والإداري، على المدارس الابتدائية، وتطوير مناهجها.

وتوجد في السلطنة الكثيرية إدارة معارف مبسطة مقرها سيئون تتكون من ناظر المعارف يساعده بعض التربويين والكتبة[١].

لقد لاقت جهود القدال في تطوير التعليم الحكومي في حضرموت استحسانًا كبيرًا فقد كتب أحد المهتمين في صحيفة (فتاة الجزيرة) ما يلي: "إن الشيخ القدال هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يفخر عندما يعود إلى بلاده بأنه أدى واجبه نحو حضرموت بصورة أرضت الحكومة والشعب"[٢].

وقد ظهرت النتائج المثمرة لجهود القدال في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية خاصة في السلطنة القعيطية. ويرى الدارس أن التقييم العلمي للمرحلة التي قاد فيها الشيخ القدال التعليم في حضرموت (**١٩٣٩ - ١٩٥٠م**) تكمن في دراستها ككل. وسنبين في الجدول الآتي جزءًا من هذه الثمار بالرغم من تقيد الدراسة أكاديميًا بالفترة حتى **١٩٤٥م**.

(١) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ١٦٦.

(٢) فتاة الجزيرة. العدد (٣١٢)، السنة السادسة، ٣٠ ديسمبر ١٩٤٥م. ص ٦.

المؤسسة التعليمية	عدد المدارس	عدد التلاميذ	عدد التلميذات	إجمالي التلاميذ	عدد المدرسين	عدد المدرسات	إجمالي المدرسين
مدارس ابتدائية للبنين	٢٤	٢٥٠٠	-	٢٥٠٠	٨٢	-	٨٢
مدارس ابتدائية للبنات	١	-	١٢٠	١٢٠	-	٨	٨
مدارس وسطى للبنين	١	١٤٠	-	١٤٠	٤	-	٤
ثانوية صغرى للبنين	(أ)	١٥	-	١٥	(أ)	-	(أ)
مدرسة المعلمين للبنين	١	١٠	-	١٠	٤	-	٤
المعهد الديني للبنين	١	٨٨	-	٨٨	٤	-	٤
الإجمالي	٢٨	٢٧٥٣	١٢٠	٢٨٧٣	٩٤	٨	١٠٢

(أ) الثانوية الصغرى ومدرسة المعلمين من مبنى واحد وبهيئة تدريس واحدة[١].

(١) كرامة مبارك سليمان. المرجع السابق. ص ١٥٥.

ويعزو محمد عبدالقادر بافقيه هذه النجاحات للحركة التعليمية إلى الآتي:

١- أن ناظر المعارف وزملاءه السودانيين كانوا من المؤمنين بالمنهج الذي أوكل إليهما أمر تطبيقه، وكانوا يعيشون فورة الحماس لذلك المنهج.

٢- أن حضرموت كانت في تلك الأيام تستقبل حياة جديدة ونظمًا ووجوهًا جديدة في الحكومة لم تتراكم بعد حولها القيود الروتينية المكبلة فارتبط رجال المعارف بأفراد الجهاز الحكومي بروابط قوية من الصداقة والتأييد الرسمي.

٣- السياسة التي اختطها ناظر المعارف آنذاك سياسته مع الناس وسياسته مع المشتغلين في حقل التدريس.

ففي سياسته مع الناس أبدى مقدرة طيبة في إقناعهم بتقبل نوع التعليم الذي قدمه لهم وعرف كيف يكسبهم بسلوكه الشخصي معهم.

أما المشتغلون بالتعليم فقد كانت سياسته معهم تقوم على أسس عائلية وهو في الأسرة التعليمية يحتل مركز الأب، وقد أهله لذلك الدور سنه ومظهره وموهبته البارزة في التحدث إلى المجالس، كما كان من الذكاء بحيث يتيح للعاملين العمل بحرية، كل في مجاله الطبيعي وبأقل قدر من التدخل[١].

❁❁❁❁❁

(١) محمد عبدالقادر بافقيه. مجلة المنير. ص ٢٠.

ثالثًا: الصحافة

تأثرت الحركة الصحفية التي شهدتها حضرموت بعد الحرب العالمية الأولى بالصحافة الحضرمية في المهجر وخاصةً في (جاوا) و(سنغافورا) فقد أصدر الحضارم هناك نحو (٢٠) صحيفة أسبوعية وشهرية مثلت الاتجاهات المختلفة والمتضاربة لحضارم المهجر، كما تناولت المشاكل التي تعاني منها حضرموت وكانت أيضًا وعاءً استوعب بعض أفكار المثقفين والمهتمين بالشأن الحضرمي العام من حضرموت نفسها[١].

ومن أهم صحف المهجر:

صحيفة الإصلاح:

أنشأها الأديب محمد بن عقيل بن يحيى، وهي صحيفة أسبوعية صدر العدد الأول منها في ٣ شوال ١٩١٦م في مدينة (سنغافورا) وكان يشترك في تحريرها الأديب محمد بن هاشم، وأحمد عبدالله السقاف، وحسن بن علوي بن شهاب. ثم أصدر محمد بن عقيل صحيفة الإمام بعد توقف صحيفة الإصلاح وكانت صحيفة الإمام أسبوعية أدبية اجتماعية.[٢]

صحيفة الوطن:

أنشأها حسن بن علوي بن شهاب وصدر العدد الأول منها في (سنغافورا)، ونشرت سلسلة من المقالات التي تدعو إلى الإصلاح الاجتماعي والدعوة بنهوض التعليم في حضرموت.

صحيفة (البشير) أو (الميزان):

أنشأها الأديب محمد بن هاشم عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م في (بيتاو) بـ(إندونيسيا).

---

(١) سعيد عوض باوزير. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. ص ١٦٩.

(٢) عبدالرحمن خبارة. نشوء وتطور الصحافة في عدن (١٩٣٧-١٩٦٧م). شركة الأمل للطباعة والنشر. ص ١٥٥-١٥٦.

صحيفة الإقبال:

صدرت في (سورابايا) **١٣٣٤**هـ/ **١٩١٥**م لصاحبها محمد بن سالم بارجاء وهي صحيفة أسبوعية احتجبت سنة **١٣٣٩**هـ/ **١٩٢٠**م واشترك في تحريرها الأستاذ محمد بن هاشم.

صحيفة الإرشاد:

صدرت بـ(إندونيسيا) سنة **١٣٣٨**هـ/ **١٩١٩**م عن جمعية الإصلاح والإرشاد وكانت أسبوعية أدبية اجتماعية نشرت أخبار جمعية الإرشاد ونشاطاتها في مدن وقرى إندونيسيا كافة.

مجلة الرابطة العلوية:

مجلة شهرية علمية تاريخية أنشأها أحمد بن عبدالله السقاف، وكانت تصدر بـ(بيتاو) بـ(إندونيسيا) صدر العدد الأول منها **١٣٤٦**هـ/ **١٩٢٧**م، وتتابع حتى العاشر اهتمت بنشر أخبار آل باعلوي واحتوت على دراسات علمية وأدبية وتاريخية عن مدن حضرموت.

صحيفة حضرموت:

أنشأها عيدروس بن عمر المشهور، وصدر العدد الأول منها في (سورابايا) بـ(إندونيسيا) عام **١٣١٤**هـ، اهتمت بكتابة المقالات السياسية والاجتماعية ومن محرريها محمد بن هاشم، وتوقفت عن الصدور عام **١٣٥٢**هـ.

صحيفة المهجر:

صحيفة شهرية صدر العدد الأول منها في شهر ذي القعدة **١٣٤٦**هـ وكانت حافلة بأخبار الرابطة العلوية وأخبار حضرموت[١].

(١) عبدالرحمن خبارة، المرجع السابق، ص ١٥٦-١٥٧.

صحيفة الترجمان:

أسسها محمد بن عقيل بن يحيى عام **١٩٣٧**م وهي صحيفة ساخرة باللهجة الحضرمية الدارجة، وقد عبر بعض الكتاب فيها عن مواقفهم المؤيدة لهدنة السلام، كما تطلع رئيس تحريرها إلى إحداث إصلاحات داخل حضرموت من خلال الدعوة التي قدمها لإنشاء عدد من الشركات المساهمة في مختلف المجالات[١]

ويلاحظ أن معظم محرري الصحف والمجلات في المهجر من مراتبية السادة وهذا يعني أنهم في ذلك الوقت كانوا يمثلون المراتبية المثقفة والفاعلة في المهاجر، رغم المعارضة القوية التي برزت ضد نفوذهم الروحي وامتيازاتهم الاجتماعية.

وعلى أية حال رغم الخطوط المتطرفة التي اتخذتها لنفسها بعض الصحف في المهجر إلا أنها على وجه الإجمال ساعدت على خلق التنافس والارتقاء بالعمل الصحفي.

وكان لانتقال هذا الصراع إلى حضرموت - كما ذكرنا سابقًا - أن ساعد على الحراك الثقافي فيها، وأمام انعدام وسائل التعبير الحديثة، كانت الصحافة المكتوبة باليد هي الوعاء الذي استوعب أفكار المثقفين، والمصلحين، فظهرت في حضرموت عدد من الصحف منها:

صحيفة التهذيب:

من أهم وأشهر الصحف في حضرموت أصدرها محمد بن حسن بارجاء وحررها الأديب المعروف علي أحمد باكثير سنة **١٣٤٩**هـ/ **١٩٢٩**م وهي كما جاء في ديباجتها صحيفة دينية علمية أخلاقية شهرية أنشئت لتهذيب العقول وتنوير الأفكار، وقد حددت هدفها الثقافي في خدمة الشعب الحضرمي، والوطن، من جميع النواحي العلمية، والأدبية، والدينية، والخلقية، مبتعدة كل الابتعاد عن كل

(١) سالم علي الجرو. حضرموت الإنسان والبصمة. ص ٨٣.

ما يمس الشخصيات وأمور السياسة إلا من جهتها المدنية[١].

وقد تناولت الصحيفة مواضيع ثقافية مختلفة وأفكارًا جريئة تحارب الجمود والتخلف من ذلك ما كتبه علي أحمد باكثير: (إني رأيت هذه الأدواء عالقة بنا ومتعمقة في أعماق نفوسنا وهي داء الجمود وداء التقليد والتسرع في الحكم بدون معرفة ولا علم)[٢].

وفي جانب آخر انتقد البعض فيها ابتعاد الناس عن روح الإسلام وتشبثهم بالبدع والخرافات والأوهام والخزعبلات والتردد على الأضرحة والمزارات للتوسل في قضاء الحاجة[٣].

وقد لاقت صحيفة التهذيب معارضة قوية من المحافظين ورأوا أنها أنشئت لبذر الفتنة وغرس العداء بين الناس وقلب الحقائق وترويج الباطل[٤]. وتعد صحيفة التهذيب مدرسة للصحافة في حضرموت، فمن خلال صفحاتها تظهر فنون العمل الصحفي من حيث التبويب والإخراج، وقد واكبت صحافة محمد رشيد رضا التي كانت تصل إلى سيئون آنذاك.

صحيفة الإخاء:

تصدرها جمعية الأخوة والمعاونة آخر كل شهر عربي ويحررها عدد من أعضاء الجمعية، وكان مديرها المسئول محمد بن حسن الكاف، وتأسست في عام **١٣٥٧**هـ/ **١٩٣٨**م في تريم، صدرت في البداية خطية، وبعد العدد العاشر طبعت في مطبعة جمعية الأخوة والمعاونة، وبعد توقف الحرب العالمية الثانية صدرت مطبوعة بآلة الرونيو حتى عام **١٩٦٧**م[٥].

(١) صحيفة التهذيب. العدد الأول، السنة الأولى، ١ شعبان ١٣٤٩هـ. ص ١.
(٢) صحيفة التهذيب. العدد الثالث، السنة الأولى، ١ شوال ١٣٤٩هـ. ص ٨٥.
(٣) صحيفة التهذيب. العدد الثالث، ١ شوال ١٣٤٩هـ. ص ٨٥.
(٤) صحيفة التهذيب. العدد الثاني، ١ رمضان ١٣٤٩هـ. ص ٣٥-٣٦.
(٥) عبدالرحمن خباره. المرجع السابق. ص ١٥٨-١٥٩.

مجلة عكاظ:

وهي مجلة شهرية أدبية حررها عبدالله بن أحمد بن يحيى تصدر في كل من سيئون وتريم تأسست سنة **١٩٢٩م**[١].

صحيفة السير:

وهي أول صحيفة خطية صدرت في حضرموت، وقد صدر العدد الأول منها سنة **١٩١١م**، وحررها محمد بن عقيل بن يحيى صاحب ومنشئ صحيفة الإصلاح والإمام في سنغافورا.

صحيفة حضرموت:

صدرت في مدينة تريم **١٩١٧م**، وهي صحيفة أسبوعية لصاحبها شيخ بن عبدالرحمن السقاف، وقد صدر منها أربعة أعداد خطية، وتوقفت نتيجة للحملة العدائية التي شنها عليها المحافظون.

صحيفة النهضة الحضرمية:

هي أول صحيفة مطبوعة ظهرت في المكلا لصاحبها الشيخ الطيب الساسي، صدر العدد الأول منها **١٣٤٦**هـ متزامنًا مع عقد المؤتمرات الإصلاحية في المكلا، والشحر، وسنغافورا، حفل العدد الأول بالمواضيع، والخطب، والمقالات التي تتعلق بالإصلاحات في الشئون الحضرمية[٢].

وفي غيل باوزيرأصدرأحمد عوض باوزير صحيفة الأستاذ وهي خطية نصف شهرية تهدف إلى الدفاع عن حقوق المعلم، وكانت توزع مجانًا وشعارها (ثقافة - عروبة - اجتماع - أخلاق). وقد ركزت في مواضيعها على أوضاع التعليم والمعلمين ونلحظ ذلك من خلال العناوين في بعض أعدادها منها: «ماذا أعددنا

(١) سقاف علي الكاف. المرجع السابق. ص ٧٤.
(٢) عبدالرحمن خبارة. المرجع السابق. ص ١٥٧.

للمستقبل؟»، و«للوصول إلى التعليم الصحيح»، كما احتوت على بعض المتابعات الأخبارية الثقافية المحلية والعربية[١].

وهناك عدد آخر من الصحف ظهرت في حضرموت ولكن سرعان ما تختفي مثل صحيفة الأمل في المكلا التي صدرت عام **١٩٣٩**م (شهرية) وترأس تحريرها الشيخ محفوظ بن عبده. ورغم محدودية انتشار هذه الصحف في حضرموت إلا أننا نلاحظ انتشار البعض منها خارج حضرموت، وعلى الخصوص عدن من ذلك مجلة الاعتصام التي تصدر في سيئون وهي مكتوبة باليد ويرأس تحريرها عثمان السقاف[٢].

لقد حاولت هذه الصحف أن تصل إلى الأهداف التي رسمتها لنفسها ولكنها اصطدمت بمشاكل كثيرة، لعل أهمها أن معظمها ظلت صحفًا خطية تكتب باليد، لهذا كان أثرها ضعيفًا ومحصورًا في حدود ضيقة، ولم يصل صوتها إلى مسامع الغالبية من السكان.

وعلى أية حال فإن الصحف في حضرموت رغم محدودية انتشارها إلا أنها كانت رافدًا من روافد الإصلاح ونافذة تطلع من خلالها المثقفون، والوطنيون في نقل أفكارهم، وإبداعاتهم الأدبية، ومن ثم أسهموا في تكوين ونمو الوعي الوطني، وظهرت ثمار ذلك بشكل واضح بعد الحرب العالمية الثانية.

وقد رصد المؤرخ سعيد عوض باوزير حالة التطور الثقافي الذي شهدته حضرموت قائلاً: "لم تنته الحرب العالمية الثانية إلا وحضرموت على وشك ولادة جديدة لعصر جديد ظهرت بشائره، فقد أخذ الناس يقبلون على الصحافة المصرية والإذاعات العربية، وقراءة الكتب الاجتماعية، والأدبية، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في تنبيه الأذهان، وتحطيم أسوار العزلة الفكرية التي كان يعيشها الحضارم"[٣].

---

(١) صحيفة الأستاذ. العدد الرابع، والخامس، ١٥ يوليو ١٩٤٤م.
(٢) فتاة الجزيرة. العدد (١٤٠)، السنة الثالثة، ٧ سبتمبر ١٩٤٢م. ص ٨.
(٣) سعيد عوض باوزير. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. ص ١٦٨.